جامعة محمد خيضر بسكرة
كلية العلوم الانسانية والاجتماعية
قسم العلوم الانسانية

مذكرة ماستر

العلوم الانسانية والاجتماعية
قسم التاريخ
تاريخ وحضارة الغرب الإسلامي في العصر الوسيط

رقم: //

إعداد الطالب:
زينب بكاري:

يوم: //

المراكز العمرانية في المغرب الإسلامي "مدينة سجلماسة 140-597ه/757-1393م أنموذجا"

لجنة المناقشة:

سالم كربوعة	أ. مح أ	جامعة محمد خيضر بسكرة	رئيس
فتيحة شلوق	أ. مح أ	جامعة محمد خيضر بسكرة	مقرر
علي بلدي	أ. مس أ	جامعة محمد خيضر بسكرة	مناقش

السنة الجامعية : 2018 - 2019

شكر وعرفان

*الشكر لله تعالى أولا وأخيرا الذي منّ علينا بالإرادة والصبر والإيمان لإنجاز هذه الدراسة كما يطيب لنا أن نتقدم بفائق الشكر والعرفان والإمتنان للأستاذة الفاضلة "**شلوق فتيحة**" على كل المجهودات التي قدمتها لنا لإستقامة دراستنا جزاها الله خيرا وأدامها فيضا واسعا ومنبعا دفاقا للعلم.*

*الشكر موصول لكل أساتذتنا الكرام في التخصص أنوار الدجى في عالم الجهل على كل ماقدموه لنا من نصح وإرشاد وتوجيه وتصويب، كما أشكر الأستاذة **ليتامة عقيلة** إلى كل من علمني حرفًا وسقاني علمًا.*

كما أتقدم بخالص الشكر لكل من قدم لنا مساعدة سواء من قريب أو بعيد ولو بالكلمة الطيبة.

الإهداء

إلى من أرجو رضاءه على الدوام إلى عزّي وفخري إلى سندي في الحياة إلى الذي لطالما أحنى ظهره التعب في سبيل وصولي إلى هذه المكانة إلى من بث في روح الإرادة والتحدي من أجل مستقبل أساسه الأخلاق وجوهره العلم وقمته التواضع أبي الغالي "أحمد"

إلى من أسأل الله أن يديمها ويحفظها ويرعاها لتبقى لنا السند والملجأ وشاطئ الأمان الذي نرتاح عنده، إلى الصوت الذي عندما أسمعه تسكن جوارحي إلى الدمعة السيالة والدعوة المستجابة إلى التي سكبت دموعها أياما وليالي لترى البسمة مرسومة على محيانا إلى التي نذرت حياتها لنا فنسيت بذلك نفسها أمي الحنونة "جميلة".

إلى من يجري حبهم في عروقي وأدين لهم بالكثير إلى بهجتي وسروري إلى سر قوتي وصمودي أخي كريم شفاه الله ورابح أدامه وحفظه، إلى أخواتي وزوجة أبي.

إلى من لاتحلو الحياة إلّا بوجودهن صديقات العمر رفيقات االدرب إلى جميع أفراد عائلتي الكريمة أعمامي وأبناؤهم أخص بالذكر "أبناء عمي الحاج محمد

مقدمة

مقدمة:

بعد دخول الفاتحين من المغرب الأدنى ثم الأوسط وصولا إلى المغرب الأقصى وإدخال المنطقة ضمن دائرة العالم الإسلامي تحت لواء الخلافة في المشرق، والذين حاولوا إعادة ممتلكات المنطقة التي كانت تحت السيطرة البيزنطية. وأثناء عملية الفتح بدأ الفاتحين مرحلة جديدة لتثبيت دينهم ولغتهم وترسيخ هويتهم، وذلك من خلال إحداث المدن الإسلامية التي أصبحت فيما بعد مراكز حضارية قائمة بذاتها لها خصوصيتها من الناحية العمرانية والسياسية والإقتصادية وحتى الإجتماعية، وهذا إن دلّ على شيء فهو يدل على طبيعة الفكر الذي جاء به الفاتحين الأوائل من المشرق في الطابع العمراني المشرقي والذي تجسد في العديد من المدن المغربية خلال الفترة الوسيطية وكان لكل مدينة طابعها الذي يميزها سواءً من ناحية التأسيس أو التكوين أو الإنهيار، وتضاربت الآراء في بعض الأحيان وتشابهت أحيانا أخرى حول جدلية تعمير المدن وبنائها، والفكر الذي أسست وفقه.

هذا وقد صاحب إنتشار وتوسع الإسلام تأسيس وإزدهار العديد من المدن الإسلامية في بلاد المغرب وإرتبطت إرتباطا وثيقا بالإسلام والنظم الإسلامية وأصبح المحور الأساسي الذي تدور حوله حياة المدينة السياسية والإقتصادية وتخطيطها وحتى في نسيجها العمراني وقد عرفت بلاد المغرب الإسلامي عدة مدن أصبحت فيما بعد حواضر إسلامية تختلف لإختلاف موضعها وموقعها، وظروف نشأتها والمؤثرات التي تأثر فيها وتؤثر على نمو تطورها وذلك وفقا لمنهج إسلامي محدد، وهذه المدن التي قامت في بلاد المغرب منها ما أسست على أرض بكر ومنها ما أسست على أنقاض حضارات سابقة إما إغريقية أو قرطاجية أو رومانية. ومن هنا جاء موضوعنا الموسوم بـ **المراكز العمرانية في المغرب الإسلامي** "**سجلماسة 140-597هـ/757-1393م أنموذجا**"، ولمعالجة هذا الموضوع قمنا بطرح الإشكالية التالية **فيما تتمثل خصائص المراكز العمرانية في بلاد المغرب عامة ومدينة سجلماسة خاصة؟** وللإجابة على هذه الإشكالية وجب علينا طرح بعض التساؤلات الفرعية المتمثلة في الآتي:

1) كيف كانت وضعية العمران ببلاد المغرب قبيل الفتح؟
2) ما هي أهم المراكز العمرانية التي قامت ببلاد المغرب الإسلامي؟
3) كيف أثرت الخلافات السياسية والمذهبية والكوارث الطبيعية والبشرية على العمران في بلاد المغرب؟
4) ما الدوافع الأساسية وراء إنشاء مدينة سجلماسة بالمغرب الأقصى؟ وهل تم إحترام معالم العمارة الإسلامية فيها؟

أسباب إختيار الموضوع:

تم إختيارنا للموضوع بدافع الرغبة في معرفة العوامل التي أدت إلى قيام الحواضر الإسلامية في بلاد المغرب وأهم المراكز العمرانية في كل من المغرب الأدنى والأوسط والمغرب الأقصى الذي إخترنا منه أنموذج الدراسة وهي مدينة سجلماسة وكان تركيزنا عليها لأن جل الدراسات السابقة التي تناولت الموضوع ركزت على الجانب السياسي والإقتصادي أكثر من الجوانب الحضارية والعمرانية للمدينة.

– وجود العديد من الدراسات السابقة التي إهتمت بالمدن الإسلامية وتخطيطها لكن خَصّتها في غالب الأحيان بالمدن المشرقية كالكوفة وبغداد، البصرة، دمشق...، حيث تطرقت لها من مختلف الجوانب، هذا ما جعلنا نسلط الضوء على مدن المغرب الإسلامي ودراسة الحواضر الإسلامية التي قامت به.

أهمية الموضوع:

تتمثل أهمية الموضوع في التعريف بالعمارة الاسلامية المغربية ومدى تجسيد معالمها في المراكز العمرانية التي قامت ببلاد المغرب، وأيضا في دراسة جانب مهم من جوانب الحضارة الإسلامية وهي عمارة المدن والحواضر.

أهداف الدراسة:

– التعرف على وضعية العمران في بلاد المغرب قبيل الفتح الإسلامي.

- توضيح المعايير التخطيطية للمدينة الإسلامية وفقا لمنهج القرآن والسنة.
- إبراز معالم عمارة المدن من خلال دراسة أنموذج لإحدى مدن المغرب الإسلامي.

المنهج المتبع:

لمعالجة موضوعنا هذا وتتبع وضعية عمران المراكز العمرانية بالمغرب الإسلامي إتبعنا المنهج التاريخي والوصفي.

ـ **التاريخي:** نظرا لطبيعة الموضوع والذي يتطلب سرد الأحداث وتتبعها والتأريخ لها وتمحيصها.

ـ **الوصفي:** من خلال إستخدامنا للمصادر الجغرافية في وصف المدن والأمكنة في بلاد المغرب الإسلامي، بالإضافة إلى رصد الأوضاع السياسية والإقتصادية للمدينة ووضعية العمران بها والمنشآت العمرانية.

الدراسات السابقة:

تمثلت الدراسات السابقة في مجموعة من المقالات والرسائل الجامعية منها ما تحصلنا عليها وأخرى لم نتمكن من الحصول عليها نذكر منها: مقال لمصطفى بن حموش: **المعايير التخطيطية في المدن الإسلامية العتيقة**، في مجلة جامعة الملك سعود، مج.15، العمارة والتخطيط، ص ص139-165، الرياض، 1423هـ/2003م، والتي تناول فيها الباحث المعايير والتخطيطية والهندسية التي ظهرت نتيجة تفاعل الأحكام الشرعية بالأعراف المحلية للمجتمعات الإسلامية.

- مقال لمحمد حمد الجهمي: **الحياة الإقتصادية في سجلماسة من نشأتها إلى إكتمال بنائها(140ـ297هـ/758ـ909م)**، في مجلة العلوم والدراسات الإنسانية، العدد السابع جامعة بنغازي، أكتوبر2015م، حيث ركزت هذه الدراسة على الجوانب الإقتصادية لمدينة سجلماسة أنموذج دراستنا وزودتنا بالكثير حول الدور الريادي الذي لعبته المدينة كمركز عمراني في تنشيط الحياة الحضارية في بلاد المغرب الإسلامي.

– رسالة ماجستير بعنوان **النشاط التجاري في المغرب الأقصى خلال(ق3-5هـ/9-11م)** لبان علي محمد البياتي، جامعة بغداد، 2004م، (غير منشورة)، بالإضافة إلى أطروحة دكتوراه لم نتمكن من الحصول عليها لإيمان فؤاد أحمد الجويلي تحت عنوان سجلماسة ودورها السياسي والحضاري.

تقديم خطة الدراسة:

قسمنا موضوعنا وفق خطة بحث علمية تمثلت في مقدمة ومدخل وثلاثة فصول وخاتمة مدعمين هذا العمل بمجموعة من الملاحق المتنوعة والتي تمت الإشارة إليها في المتن، كانت بداية هذا العمل بمقدمة عرفنا فيها بالموضوع، ثم جاء المدخل الذي قمنا من خلاله بتوضيح **وضعية العمران ببلاد المغرب قبيل الفتح الإسلامي**، ثم جاء الفصل الأول تحت عنوان **أساسيات العمارة الإسلامية** قسمناه إلى ثلاثة عناصر تناولنا في العنصر الأول بعض المصطلحات والمفاهيم التي تتعلق بالمجال العمراني من عمران وعمارة ومدن وحواضر، أما العنصر الثاني فقد خصصناه لمختلف العوامل التي أدت الى نشأة المدن والمراكز العمرانية الإسلامية عامة مع بعض الإسقاطات على مدن المغرب الإسلامي وبالنسبة للعنصر الثالث فقد تحدثنا فيه عن تخطيط المدن الإسلامية والمعايير والمبادئ التي تم تحديدها من قبل المتخصصين في المجال العمراني ومدى مراعاة الولاة والأمراء لها عند إختيارهم لواقع ومواضع المدن التي أحدثوها.

أما الفصل الثاني فقد تمحور حول **عمارة المدن الإسلامية ببلاد المغرب** والذي تطرقنا فيه في العنصر الأول للأحكام الفقهية التي تم من خلالها إستنباط الشكل الهندسي والعمراني للمدينة الإسلامية وجاء فيه أيضا أهم المرتكزات التي نصّت عليها الشريعة الإسلامية في عملية التعمير، والعنصر الثاني تناولنا فيه المدن التي قامت ببلاد المغرب وقد إخترنا مدينة القيروان من المغرب الأدنى ومدينة تيهرت من المغرب الأوسط وقمنا بتتبع تخطيطهما العمراني ومدى تجسيد معالم العمارة الإسلامية في المراكز العمرانية التي قامت ببلاد

المغرب، وعن العنصر الثالث فقد وضحنا الخلافات السياسية والمذهبية التي أدت إلى خراب المدن وضربنا أمثلة لبعض المدن التي خربت في بلاد المغرب وبيّنا أسباب ذلك حسب آراء المؤرخين.

وأخيرا الفصل الثالث الذي خصصناه **لمدينة سجلماسة في المغرب الأقصى** كأنموذج لدراستنا والذي قمنا بتقسيمه إلى ثلاثة عناصر، العنصر الأول كان لنشأة سجلماسة تتدرج تحته ثلاثة عناصر وهي التسمية والإختلافات التي طالت أصل التسمية، وكذلك الموقع الجغرافي الذي كان ذو أهمية كبيرة في إختيار الصفرية لموقع إقامة مدينتهم، ضف إلى ذلك المناخ الذي ميز مدينة سجلماسة حاضرة بني مدرار، أمّا العنصر الثاني فقد تناولنا في الأوضاع السياسية التي سادت مدينة سجلماسة وأدت إلى قيام كيانها السياسي الذي مثلته دولة بني مدرار، وقد تحدثنا فيه عن أهم أئمة بني مدرار والأعمال التي قاموا بها وكذلك تناولنا في هذا العنصر علاقات بني مدرار مع الدول والكيانات السياسية الأخرى الداخلية والخارجية على أساس الود والعداء، أمّا فيما يخص العنصر الثالث فجاء بعنوان الأوضاع الإقتصادية لمدينة سجلماسة تناولنا فيه مختلف الأنشطة الإقتصادية من زراعة وصناعة وتجارة، والعنصر الأخير تطرقنا فيه إلى الأوضاع الإجتماعية والمنشآت العمرانية التي كانت بالمدينة والأنماط العمرانية التي كانت موجودة بها.

في الأخير ختمنا دراستنا بخاتمة تضمنت أهم الإستنتاجات المتحصل عليها من خلال عملية البحث والمناقشة مع الأستاذة والتصويبات التي دلتنا إليها مدعمين هذا العمل بمجموعة الملاحق التي أشرنا إليها سابقا والتي تليها قائمة المصادر والمراجع التي زودتنا بالمادة العلمية وأخيرا وليس آخرا فهرس الموضوعات.

معتمدين في ذلك على العديد من المصادر المتنوعة من كتب الفقه والنوازل، العمران والجغرافيا والرحلات والتاريخ نذكر منها:

مقدمة:

– الكتب الجغرافية: إعتمدنا على كتاب **المسالك والممالك** لأبي عبيد الله البكري (ت272هـ/885م)، والذي يوضح فيه مواقع مدن بلاد المغرب في الفترة الوسيطية ويحددها من جميع الجوانب ويصفها وصفا دقيقا رغم أنه لم يزرها في تلك الفترة بالإضافة إلى كتاب **البلدان** لمؤلفه اليعقوبي(ت284هـ/897م) الذي تناول مختلف المواقع الجغرافية لبلاد المغرب، كذلك **معجم البلدان** لشهاب الدين أبي عبد الله ياقوت الحموي (ت626هـ/1228م) والذي يعتبر من المعاجم الجغرافية للتاريخ الإسلامي جمع بين الجغرافيا والتاريخ إعتمدنا على المجلد الثالث والسابع ضف إلى ذلك إعتمادنا على شهاب الدين أحمد بن محمد بن أبي الربيع الذي يعتبر من أهم المنظرين في مجال العمران في مؤلفه **سلوك المالك في تدبير الممالك**، أيضا كتب **الإستبصار في عجائب الأمصار** لمؤلف مجهول (ق.6هـ) والذي وصف بلاد المغرب وصفا دقيقا وشاملا.

– كتب التاريخ: التي إعتمدناها دراستنا لهذا الموضوع كثيرة نذكر منها، **المعجب في تلخيص أخبار المغرب** لصاحبه محي الدين أبو محمد عبد الواحد المراكشي توفي في النصف الثاني من القرن السابع الهجري، من أهم مصادر التاريخ فيي الغرب الإسلامي لبعده عن الذاتية والتزام الموضوعية في سرد الأحداث التاريخية المتعلقة بتاريخ المغرب كذلك كتاب عبد الرحمان إبن خلدون (ت808هـ/1406م) **العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**، الذي يتكون من سبعة أجزاء وقد إعتمدنا على الجزء الرابع والسادس حيث تناول فيهما تاريخ المغرب وأهل المغرب وجغرافية بلاد المغرب بالإضافة إلى **المقدمة** والتي تطرق فيها إبن خلدون إلى العمران.

– الكتب الفقهية: **الإعلان بأحكام البنيان** لإبن الرّامي (ت683هـ)، بالإضافة إلى **الأحكام السلطانية** للماوردي وقد أفادتنا هذه الكتب في التعرف على الأحكام الفقهية التي تم إستنباطها من القرآن والسنة.

إضافة إلى هذه المصادر هناك مجموعة من المراجع التي إعتمدناها وبدورها حددت لنا هذه المصادر الأولية وساعدتنا في ذلك منها: **القيروان ودورها في الحضارة الإسلامية** لمحمد محمد زيتون، وأيضا **سجلماسة وإقليمها في (ق8هـ/14م)** لحسن حافضي علوي. كذلك كتاب **تخطيط وعمارة المدن الإسلامية** لخالد محمد مصطفى عزب.

صعوبات الدراسة:

من بين الصعوبات التي واجهتنا في هذه الدراسة هي:

- صعوبة الحصول على معلومات تتعلق بالجانب الأثري والعمراني لمدن المغرب الإسلامي.
- صعوبة التحليل وإستخدام الإسقاط لأن جل المعلومات المتوفرة تتعلق بمدن المشرق الإسلامي دون التركيز على مدن المغرب الإسلامي.

وأي تقصير أو خطأ غير مقصود في هذه الدراسة فمني ومن الشيطان وماكان صوابا فبتوفيق من الله ومن الأستاذة المشرفة.

مدخل:

وضعية العمران ببلاد المغرب قبيل الفتح الإسلامي

المقصود ببلاد المغرب هو كل ما يقابل بلاد المشرق، وقد أصطلح معظم الجغرافيين والمؤرخين على تسمية المناطق التي تمتد من حدود مصر الغربية وحتى شواطئ المحيط الأطلسي بإسم بلاد المغرب، ويشير إلى هذا إبن خلدون أن المنطقة الممتدة من مصر إلى المحيط الأطلسي هي التي عرفت ببلاد المغرب الإسلامي[1].

في حين يذهب البعض الآخر إلى القول بأن بلاد المغرب هي كل ما يقع غرب مصر بمعنى أن جزء من الأراضي المصرية تدخل ضمن بلاد المغرب وبهذا يزداد إتساع الرقعة الجغرافية للمنطقة[2].

وقد إختلف الجغرافيين والمؤرخين المسلمين في تحديد أقاليم بلاد المغرب، ويعود إختلافهم إلى وضع مصر ضمن حدود بلاد المغرب أو ضمها إليها، فهناك من يرى أن إقليم برقة(بنغازي حاليا) ضمن حدود مصر ومنهم من يرجعها لبلاد المغرب[3].

أما مؤرخوا البلدان فقد جعلوا حدود بلاد المغرب تمتد من مصر الغربية أي من إقليم برقة شرقا وتنتهي عند سواحل بحر الظلمات غربا، أما من ناحية الشمال فهي تمتد من البحر الأبيض المتوسط إلى الصحراء الكبرى، أي بلاد السودان الغربي[4]، وأيدهم في هذا الرأي ابن عذارى حيث يقول: "أن بلاد المغرب من ضفة النيل إلى آخر بلاد المغرب وتنقسم إلى: من الإسكندرية إلى طرابلس ومن طرابلس أي بلاد الجريد إلى بلاد المغرب الزاب

---

1. عبد الرحمان إبن خلدون(ت808هـ/1406م): **العبر ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**، ج.6، مر: سهيل زكار، دار الفكر، (د.ب)، (د.ت)، ص 151.

2. أبي القاسم بن حوقل النصيبي(ت367هـ/977م): **صورة الأرض**، دار مكتبة الحياة، بيروت 1996، ص ص 64-65.

3. حسين مؤنس: **معالم تاريخ المغرب والأندلس**، مر: عادل أبو المعاطي ومحمد دياب، دار الرشاد، القاهرة، (د.ت)، ص 24.

4. أحمد بن أبي يعقوب إسحاق المعروف باليعقوبي(ت284هـ/897م): **البلدان**، مر: محمد أمين ضناوي، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ت)، ص 100؛ أنظر أيضا: شمس الدين أبي عبد الله محمد بن محمد بن أحمد بن أبي بكر المقدسي(ت390هـ/1000م): **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، ط.2، مطبعة بريل، ليدن، 1906، ص 216؛ وأبو عبيد البكري(ت487هـ/1094م): **المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب وهو جزء من المسالك والممالك**، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، (د.ت)، ص 21.

وحدّها بتيهرت ويليها المغرب الأقصى وحدّها بمدينة سلا إلى السوس الأقصى، وما يتصل ببلاد الصحراء إلى بلاد السودان، وما يتصل أيضا ببلاد الأندلس من المغرب وما يليها من المحيط الأطلسي"[1]، ويقصد بهذا أن المجال الجغرافي لبلاد المغرب يبدأ من نهر النيل إلى مدينة سلا في المغرب الأقصى المطلة على المحيط الأطلسي.

كما أن هناك من يضيف لبلاد المغرب بلاد السودان الغربي وهذا الرأي نجده عند الحسن الوزان في وصفه لإفريقيا، وجعل الأندلس أيضا ضمن جغرافية بلاد المغرب ومصر والأندلس[2]، هذا بالنسبة لتحديد منطقة بلاد المغرب وإختلاف الآراء وتضاربها، وإتفاقهم في بعض الأحيان حول تحديد المجال الجغرافي.

أما فيما يخص التسمية فقد أطلقت عدة تسميات للمنطقة وإختلفت بإختلاف الحقب التاريخية، حيث كان الإغريق يطلقون على القسم الشمالي من القارة الإفريقية تسمية "ليبو" أو "ليبيا" ويقسمون سكانها حسب لون بشرتهم، فالذين يسكنون الشمال هم الليبيون وسكان الصحراء هم الأحباش لسواد بشرتهم[3]، وأطلق عليها الرومان تسمية ولاية افريقية البروقنصلية التي أخذوها عن الفينيقيين والتي تعود إلى قرطاجة وما حولها، وحتى المحيط الأطلسي؛ وفي العهد البيزنطي إتسعت التسمية فشملت إفريقية البيزنطية كل المناطق التي كانت تحت الحكم الروماني من شرق برقة إلى غرب طنجة[4]، وفي العصر الوسيط كان يطلق على هذه المنطقة بالمغرب الإسلامي أما الآن فيطلق على هذه المنطقة المغرب العربي بتنظيماته السياسية المعروفة حاليا: وهي الجماهرية الليبية، الجمهورية التونسية

---

1. إبن عذارى المراكشي(ت712هـ/1312م): **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، ج.1، تح ومر: ج.س.كولان وليفي بروفنسال، ط.3، دار الثقافة، بيروت، 1983، ص 05.

2. الحسن بن محمد الوزان(ت894هـ/1489م): **وصف إفريقيا**، تر: محمد حجي ومحمد الخضر، ط.2، دار المغرب الإسلامي، (د.ب)
1983، ص 28.

3. محمد الهادي حارش: **التاريخ المغاربي القديم السياسي والحضاري/ منذ فجر التاريخ إلى الفتح الإسلامي**، المؤسسة الوطنية للطباعة، الجزائر، (د.ت) ص 21.

4. حسين مؤنس: المرجع السابق، ص 21.

الجمهورية الجزائرية، المملكة المغربية، ثم جمهورية موريتانيا والصحراء الغربية، ويطلق عليه أحيانا المغرب العربي أو شمال إفريقيا وهذا لوقوعه في شمال القارة الإفريقية[1]، من هنا يمكن القول أن تحديد المجال الجغرافي لبلاد المغرب وتسمياته قد إختلفت عبر العصور والحضارات التي مرت عليه.

وفيما يخص الوضع العمراني لبلاد المغرب قبيل الفتح فقد أنكر المشارقة وجود المدن أو المراكز العمرانية ببلاد المغرب، إلا أن المصادر المغربية والإسلامية تورد وجود العديد من المدن التي تمتعت بشهرة واسعة في فترات مختلفة من تاريخها القديم، والتي كانت تؤدي في ذلك الوقت إما الوظيفة العسكرية أو الدينية، وهذه المدن رغم أنها كانت صغيرة الحجم بصفة عامة فالفينيقيون عندما جاءوا إلى شمال إفريقيا اتخذوها كمراكز إستيطان لهم وأماكن للتوقف التجاري[2]، وبعد أن إستقروا في المنطقة سارعوا إلى تأسيس مدن مهمة على طول ساحل إفريقيا الشمالية مثل: بنزرت بتونس، وإيكوزيوم وطنجة وشالة في المغرب الأقصى، أما عن تأسيس مدينة ليكسوس فلم تذكر كمدينة وإنما ذكر معبدها وهذا يدل على أن تأسيس المعابد سابق لتأسيس المدن[3]، وظل القرطاجيين متمسكين بتنمية العمران والإقتصاد طيلة وجودهم في المغرب، حيث يذكر أنهم خرجوا في حوالي ستين سفينة ليؤسسوا المدن ومنها: ثمتيريا (المهدية حاليا) وسلو وحصن فريكون وغيته، مليطة، حتى نهر ليكسوس (وادي سوس)، وروساديير (مليليةحاليا)[4].

وإستمرت الحضارة القرطاجية طيلة قرون عديدة في شمال إفريقيا إلى أن جاء الرومان وإنتزعوا منهم المنطقة، وقاموا بتشييد مراكز عمرانية على أنقاض المستعمرات الفينيقية

---

1. يوسف أحمد حوالة: **الحياة العلمية في افريقية "المغرب الأدنى" مند إتمام الفتح وحتى منتصف القرن الخامس الهجري"90-450هـ"**، ج.1، مطابع جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 1421هـ/2000م، ص 45.
2. محمد أبو المحاسن عصفور: **المدن الفينيقية**، دار النهضة العربية للنشر والتوزيع، بيروت، 1981، ص 56.
3. الحسن السائح: **الحضارة الإسلامية في المغرب**، ط.2، دار الثقافة، الدار البيضاء، 1406هـ/1986م، ص ص 91-97.
4. عبد الرحمان حسين العزاوي: **تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط**، ط.2، دار الخليج، (د.ب)، 2017، ص 12.

أهمها: طنجي (طنجة حاليا) ووليلي التي ما تزال الآثار الرومانية باقية بها الى اليوم بما فيها قوس النصر والحمامات والأسواق التي تحمل الطابع الروماني في البناء وحتى معاصر الزيتون، كذلك نجد مدينة سلا التي حلت محلها مدينة شالة بها آثار رومانية راسخة[1].

ويضيف محمد الهادي حارش أن البلاد المغرب قد تأسست بها عديد المدن في العهد الفينيقي وعرفت إنتشارا وتطورا أثناء الإحتلال الروماني وكانت تختلف في حجمها بحسب عدد سكانها والتي كانت مدنا ريفية بالدرجة الأولى يسكنها الفلاحين والتجار والحرفيين الذين كان وجودهم ضروريا للحياة المدنية، ويمكن أن نميز ثلاث انواع من المدن في بلاد المغرب على عهد الرومان تبعا لدورها[2].

- **المدن التجارية الساحلية:** والتي تعد منافذ على الخارج مثل: لبدة وسوسة وقرطاجة، أوتيكا، هيبو، روسيكاد...

- **المدن الريفية الداخلية:** والتي قامت أساسا على الفلاحة ونمت وتوسعت مع مرور الزمن لتحتضن بعض الأنشطة الضرورية للحياة المدنية مثل: دوقة، مكثر(في تونس)، وعنونة (في الجزائر).

- **المدن العسكرية:** هي المدن التي كانت على شكل قلاع وحصون في بلاد المغرب وكانت وظيفتها الأساسية الدفاع والحماية وخير مثال على هذه المدن: تيمقاد، تازولت (لمبَّاز)، جميلة....

بالإضافة إلى إقامة مستوطنات عسكرية والتي تمثلت في إنشاء خط **الليمس**[3]، جمع هذا الخط بين الوظيفة العسكرية والإقتصادية وهدف إلى السيطرة العسكرية وإحلال السلم بين

---

1. الحسن السائح: المرجع السابق، ص 102.

2. محمد الهادي حارش: المرجع السابق، ص ص 212-214.

3. **الليمس:** هو جبهة دفاعية قوية تحتوي على شبكة من الطرق والحصون الخلفية ومراكز حراسة، ومراقبة أمامية وإنشاء الوحدات العسكرية الخفيفة للتدخل السريع بالإضافة إلى تجهيز الحملات العسكرية وإرسالها نحو مواطن القبائل المتحركة أو الجهات التي تسودها القلاقل؛ أنظر:محمد البشير شنيتي: **أضواء على تاريخ الجزائر القديم**، دار الحكمة، الجزائر، 2003، ص 81.

السكان المحليين والرومان، ومن بين الحصون والمعسكرات التي أقيمت في القرن الأول الميلادي وكانت ثابتة على منافذ الوديان كمعسكر لمباز، تيمقاد، حصن تادارت، حصن تهودة، بالإضافة إلى حصون أخرى أقيمت في القرنين الثاني والثالث للميلاد[1].

كما أجمعت المصادر على وجود مدن ببلاد المغرب في هذه الفترة حيث ذكر المؤرخون أن مدينة مليانة أو كما تعرف (زوكابار)، هي مدينة قديمة أزلية البناء بالإضافة إلى هذا فقد أرسلت حامية من الجنود الرومان لتعزيز نفوذهم في مختلف مناطق بلاد المغرب ليعمروها، وذلك بتأسيس عدة مستعمرات في المناطق الساحلية منها: ليبتيس (لبدة في ليبيا)، وطنجي أيول (شرشال حاليا)[2].

وبعض المدن الداخلية التي نمت بفضل دورها التجاري على الخصوص أهمها: سيرتا، باجة، كابسا...إلخ، وبعضها الآخر تطورت بفضل دورها العسكري حيث كانت بمثابة معسكرات للحامية الرومانية مثل: لمّييس وتيمقاد[3].

ثم جاء **الوندال**[4]، الغزو الذي شهدته شمال إفريقيا في 429-534م، حيث أثبتت العديد من الدراسات أنهم أثناء غزوهم لشمال إفريقيا لم يدمروا كل شيء كما كان يعتقد في الدراسات

---

1. جمال مسرحي: **المقاومة النوميدية للإحتلال الروماني في الجنوب الشرقي الجزائري "ثورات الأوراس والتخوم الصحراوية أنموذجا"**، "رسالة ماجستير في التاريخ القديم"، تخصص تاريخ وحضارات البحر الأبيض المتوسط، قسم الآثار، جامعة قسنطينة، 2008-2009، (غير منشورة)، ص ص 133-136

2. أنظر: إبن حوقل: المصدر السابق، ص 90؛ محمد بن عبد المنعم الحميري(ت900هـ/1464م): **الروض المعطار في خبر الأقطار**، تح: إحسان عباس، مكتبة لبنان، 1975، ص 547.

3. محمد العربي عقون: **الإقتصاد والمجتمع في الشمال الإفريقي القديم**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2008، ص 118.

4. **الوندال:** شاع مصطلح الوندال في اللغات الأوربية على أنه مشتق من الإسم الموصوف بالوندالية(Levandalisme) والكلمة مرتبطة بالهدم والتخريب ضف إلى ذلك، هم قبائل جاءوا من بحر البلطيق عبر رحلة سادها التخريب والتدمير للمدن التي مروا بها إلى أن إستقر بهم الأمر بشمال إفريقيا سنة 416م بقيادة غندريق، أنظر: شارل أندري جوليان: **تاريخ إفريقيا الشمالية**، ج.1، تر: محمد مزالي والبشير بن سلامة، ط.4، الدار التونسية للنشر، 1985، ص 322.

السابقة للتاريخ القديم، بل تركوا بعض المؤسسات والبنايات الدينية كالكنائس والمعابد والقصور والمساكن[1].

من خلال ما سبق نصل إلى القول بأن عملية البناء التي كانت سائدة في العهد الروماني إستمرت في العهد الوندالي إلا أن عملية الغزو وما تقتضيه من إهتمامات عسكرية جعلتهم يهملون الجوانب العمرانية الكبرى كإنشاء المدن وإكتفوا بما تركه الرومان من مراكز عمرانية.

وعند ضعف السلطة الوندالية خلفتها السلطة البيزنطية التي تعتبر نفسها وريثة الرومان في شمال إفريقيا، حيث قاموا بالسيطرة على مختلف المناطق الساحلية، وتوحيد الإمبراطوريتين (القصرية والطنجية)، ويستبعد وصولهم إلى المناطق الداخلية حسب أندري جوليان إلا أن التأثيرات المعمارية البيزنطية ذات الدلالات المسيحية كانت موجودة[2].

ونجد يوسف عيبش يضيف أن هناك حوالي سبعة عشر مدينة في العهد البيزنطي يمكن إعتبارها من بين المدن المحصنة والتي بقيت قائمة منذ عهود سابقة منها: قرطاجة، شرشال، طرابلس، سوسة، سرتا، باغاي، وهناك حصون كانت تأوي وحدات عسكرية وغالبا ما كانت على شكل مستطيل وتحوي أبراج مراقبة مثل: قصر تاملولا، ومنها ما كانت بمثابة معسكرات مثل: غدامس، بادس، جميلي (مليلي حاليا)، طولقة...إلخ[3].

بهذا تكون حركة العمران ببلاد المغرب قد عرفت تطورات عدة قبيل مجيء الفاتحين حيث سكن أهل المغرب مساكن متنقلة منذ بداياتهم، والتي كانت من مواد نباتية يستخدم فيها القصب كمادة أولية في البناء، ثم سكنوا الكهوف والمغارات وهذا لا يتماشى مع نمط عيشهم الذي يقوم على الزراعة التي تتطلب الاستقرار والذي يؤدي إلى ظهور قرى التي يمكن أن

1. محمد الصالح العود: **التحولات الحضارية في شمال إفريقيا في الفترة الوندالية 429-534م**، "رسالة ماجستير في التاريخ القديم"، قسم الآثار، جامعة قسنطينة، 2009-2010م، (غير منشورة)، ص 129.

2. شارل أندري جوليان: المرجع السابق، ص 13.

3. يوسف عيبش: **الأوضاع الإجتماعية والإقتصادية لبلاد المغرب أثناء الإحتلال البيزنطي**، "أطروحة دكتوراه في تاريخ وآثار المغرب القديم"، جامعة قسنطينة، الجزائر، 2006-2007م، (غير منشورة)، ص ص 292-295.

تتطور إلى مدن أو مراكز عمرانية، وعليه فإن التمدين الحقيقي ببلاد المغرب قد ظهر مع مجيء الفينيقيين ثم تطور مع القرطاجيين وبعد ذلك الرومان الذين حافظوا تقريبا على نفس المدن مثل قرطاج وولبلي وليكسوس...إلخ[1].

على الرغم من أن المدن في بلاد المغرب قد تراجعت عما كانت عليه أيام الحكم الروماني في العهد الوندالي والبيزنطي ، إلاّ أنها إحتفظت بأهميتها العسكرية، حيث أصبحت مراكز للجيش مع دخول الفاتحين ومجيء الإسلام الذي أعطاها نفسا جديدا.

1. عبد العزيز غوردو: **الفتح الاسلامي لبلاد المغرب "جدلية التمدين والسلطة"**، ط.2، دار ناشري للنشر الإلكتروني الكويت، 2011، ص 17.

الفصل الأول: أساسيات العمارة الإسلامية

أولا: مفاهيم ومصطلحات

ثانيا: عوامل نشأة المراكز العمرانية (المدن الإسلامية)

ثالثا: تخطيط المراكز العمرانية (المدينة والحاضرة)

تمهيد:

من مظاهر الحضارة الإسلامية، العمارة ذات الطابع الخاص والمميز وما يهمنا من هذه العمارة بين العمارة في دراستنا عمارة المدن في المغرب الإسلامي التي كانت لها مفاهيمها الخاصة ومصطلحاتها التي إتضحت مع ظهور الإسلام الذي حث على البناء والتعمير من أجل الإجتماع، هذا ما سنحاول التطرق إليه من خلال التعرف على أساسيات العمارة الإسلامية وأهم العوامل التي أدت إلى نشأة المدن الإسلامية والكيفية التي إعتمدها المسلمون في عملية التخطيط.

أولا: مفاهيم ومصطلحات.

1. مفهوم العمران والعمارة:

أ/ العمران:

- **لغة:** من العمائر جمع عَمارة أو عِمارة، أي عمارة الأرض وهي فوق البطن من القبائل أولها الشعب ثم القبيلة ثم البطن ثم الفخذ[1].

- **إصطلاحا:** حسب إبن خلدون "هو التساكن والتنازل في مصر أو حِلة للأنس بالعشيرة وإقتضاء الحاجات لما في طباعهم من التعاون على المعاش، ومن هذا العمران ما يكون بدويا وهو الذي يكون في الضواحي والجبال والقفار وأطراف الرمال، ومنه ما يكون حضريا وهو عمران الأمصار والقرى والمدن..."[2]. كما ربط إبن خلدون العمران بالمدينة في الباب الأول من مقدمته، "...أن الإجتماع الإنساني ضروري"[3]. وهذا يعني أن الإنسان مدني بطبعه ولابد له من الإجتماع والذي يعني العمران. كما يعني الاستقرار في رقعة جغرافية ما بصورة دائمة، والعمل على إقامة بنيان وتأهيلها بالسكان والعمل على تقدمه وإستقراره[4].

ب/ مفهوم العمارة:

- **لغة:** العمارة هي كل ما يعمر به المكان: فيقال لساكن الدار: "عامر والجمع "عمّار"[5]، والعمارة ذكرت في القرآن الكريم أيضا في قول تعالى: "وَٱلۡبَيۡتِ ٱلۡمَعۡمُورِ ۝

---

1. أبي الفضل جمال الدين محمد مكرم إبن منظور(ت711هـ/1311م): **لسان العرب**، ج.4، دار صادر، بيروت، (د.ت) ص 280.

2. عبد الرحمان إبن خلدون(ت808هـ/1406م): **المقدمة**، تح، علي عبد الواحد، الؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطبع والنشر، (د.ت)، ص 58.

3. المصدر نفسه: ص 57.

4. فطيمة مطهري: **مدينة تيهرت الرستمية دراسة تاريخية حضارية (ق2-3هـ)**، "مذكرة ماجستير في تاريخ الغرب الإسلامي"، جامعة أبي بكر بلقايد، قسم التاريخ و الآثار، تلمسان، 2009-2010م، (غير منشورة)، ص 12.

5. إبن منظور: المصدر السابق، ص 278.

وَٱلسَّقۡفِ ٱلۡمَرۡفُوعِ ۝"[1]، والمقصود بالبيت المعمور هنا السماء المعمورة بالملائكة[2]. وفي قوله تعالى "هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ وَٱسۡتَعۡمَرَكُمۡ فِيهَا"[3]، أي ابتدأ خلقكم منها وإستعمركم فيها أي جعلكم عُمَّاراً تعمروها[4]، وفي هذا التفسير دلالة واضحة على الإذن بعمارة الأرض وإستغلالها، أي كلفكم بعمارتها بالحق والعدل والعمل الصالح[5].

ويقول تعالى أيضا: "وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ ۝"[6]، في هذه الآيات تعريف واضح بالمهمة التي كلف بها الله تعالى الإنسان وهي النهوض بعمارة الأرض بكل ما يتسع له مفهوم (العمارة).

- **إصطلاحا:** العمارة إصطلاحا هي منشأة مؤلفة من كتلة وفراغات تقوم بإستيعاب النشاط الإنساني كالإسكان والعبادة والعمل والدفاع وشروطها المتانة والراحة[7]، بدأت العمارة العمارة في العصر الحجري، وقد كان قوامها في ذلك العصر الحجر الضخم أو الخشب وكان الهدف منها إيواء الساكنين وحمايتهم من العدوان كما ظهرت مادة أخرى وهي مادة

1. القرآن الكريم برواية ورش الآية 4- 5 من **سورة الطور**.
2. أبي الفداء إسماعيل بن عمر إبن كثير(ت774هـ/1372م): **تفسير القرآن العظيم**، ج.7، تح: سامي بن محمد بن سلامة، ، ط2، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، 1430هـ-1999م، ص 429.
3. القرآن الكريم برواية ورش الآية 61، من **سورة هود**.
4. إبن كثير: المصدر السابق، ج.4، ص 331.
5. محمد سعيد رمضان البوطي: **منهج الحضارة الإنسانية في القرآن**، دار الفكر، دمشق، 1981، ص 26.
6. القرآن الكريم برواية ورش الآية 55 من **سورة النور**.
7. فطيمة مطهري: المرجع السابق، ص 15.

الطين اللين والآجر، مع بداية التاريخ أصبحت العمارة فنا وعلما يتطلب دراسة هندسية وإهتماما جماليا ظهر في عمارات مصر القديمة وبلاد الرافدين[1].

ما يهمنا هو العمارة الإسلامية وهي الإسم الذي أطلق على الفن المعماري الذي طال الدول الإسلامية وكل المناطق التي ميزتها الحضارة العربية الإسلامية طيلة الفتوحات الإسلامية وما أنتجت عنها من وضعها لأسس متشابهة في الحضارة المعمارية، وقد ساهمت في نشأة وتطور العمارة الإسلامية عدة عوامل دينية وبيئية واقتصادية وسياسية حتى كادت تكون متشابهة في جميع البلاد الإسلامية ما أدى إلى توثيق روابطها أكثر، وأصبح الطابع المعماري الإسلامي يتميز بطابع الوحدة الظاهرة والتنوع. وتنقسم العمارة الإسلامية حسب الوظيفة التي تؤديها إلى[2]:

– العمارة الدينية: وتعتبر أهم ما في العمارة الإسلامية لإرتباطها بالشعائر الدينية والتقرب لله تعالى وما جاء من أجله الفاتحين وهو ترسيخ الدين الإسلامي وتشمل الجوامع والمساجد والرباطات والمدارس والزوايا والتكايا والخناقاة والسبيل، حيث كانت عمارة المساجد هي أولى النظم التخصيصية في العمارة الإسلامية لأن وظيفته لم تقتصر على الصلاة فقط في بداية تخطيطه وإنما كان مركزا للحكم والإدارة قبل وجود دار الإمارة وكان للقضاء والتعليم والإفتاء. وهناك العمارة الجنائزية وتشمل المدافن والترب والقباب والمشاهد، أما العمارة الحربية فشملت القلاع والحصون والقصبات وما يربط بها من أسوار وبوابات وأبراج ومرافق أخرى متعددة. وعمارة مدنية تمثلت في المدن والأسوار والحدائق والبساتين...

1. حسن الباشا: **الآثار الإسلامية**، دار النهضة العربية، القاهرة، 1990، ص 91.

2. فطيمة مطهري: المرجع السابق، ص 21.

2. مفهوم المدينة:

أ/ مفهوم المدينة لغة:

المدينة عند إبن منظور: "مدن بالمكان" أي أقام به، ومنه المدينة وجمعها مدائن ومدن كما يرى أنها على وزن مفعلة من دنت أي ملكت كما قال هي الحصن الذي يبنى في أصطمة الأرض وكل أرض يبنى عليها حصن فهي مدينة[1]، أما الفيروز آبادي فيقول المدينة هي الأمة لأنها مملوكة، ومدن المدائن تمدينا أي مصرها[2]، بالإضافة إلى هذا هناك من يرى أنها تعود في الأصل إلى لفظ "دين" الذي يعني في اللغة الآرامية والسامية العدل أما الأكاديين والآشوريين فيقصد بها الدين أو القانون والديّان عندهم هو القاضي ومدينتا تعني مكان القضاء[3].

ولقد وردت كلمة مدينة في القرآن الكريم في أكثر من سورة، إلا أنها ليس لها نفس المعنى أو يقصد بها نفس المدينة، حيث إختلفت اللفظة ودلالتها الجغرافية والمكانية والزمانية من سورة إلى أخرى، بالنسبة للسوّر والآيات التي وردت فيها كلمة مدينة فهي كثيرة وفي مواضع عدة، وفي كل مرة تعني مدينة معينة في مكانها وزمانها وقصة ورودها، ورد مصطلح المدينة في قوله تعالى"يَقُولُونَ: " لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾"[4]. المقصود هنا المدينة المنورة[5]، كما وردت كلمة مصرا أيضا أي المدينة الكبيرة في القرآن الكريم في

1. إبن منظور: المصدر السابق، ج.13، ص 402.

2. مجد الدين الفيروز أبادي(ت817هـ/1415م): **القاموس المحيط**، تح: أنس محمد الشامي وزكريا جابر أحمد، دار الحديث، القاهرة، 1429هـ /2008 م، ص 1512.

3. السيد إدي شير: **الألفاظ الفارسية المعربة**، ط.2، دار العرب، القاهرة، 1998، ص 69.

4. القرآن الكريم برواية ورش الآية 8 من **سورة المنافقون**.

5. إبن كثير: المصدر السابق، ج.8، ص 128.

قوله تعالى: "ٱهۡبِطُواْ مِصۡرٗا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلۡتُمۡۗ وَضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلۡمَسۡكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَانُواْ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقۡتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ٦١"[1]، والمراد بالمصر هنا هو مصر فرعون أي مدينة مصر[2].

وبما أن الحديث توضيح لما ورد في القرآن الكريم فنجد أن هناك تقارب كبير حول مفهوم المدينة، حيث وردت لفظة المدينة للدلالة على المدينة الكبيرة المستقلة عن الخلافة. والأحاديث التي تضمنت لفظة المدينة تشير بصورة عامة إلى المدن الكبرى التي أطلقت عليها تسمية الأمصار مثل: الكوفة والمدينة المنورة وبيت المقدس وغيرها...الخ. فقد روى أبو أيوب الأنصاري أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (ستفتح عليكم الأمصار وستكون جنود مجندة تقطع عليكم فيها بعوث...)[3]. في هذا الحديث تبشير بفتح الأمصار والمدن من قبل المسلمين.

كما ورد إستخدام لفظة المدينة للتعبير عن الميناء أو المرفأ، فقد جاء في الحديث الشريف:(سمعتم بمدينة جانب منها في البر وجانب منها في البحر)[4]، وهناك أحاديث عدة تتضمن استخدامات أخرى حيث نجد في الحديث كلمة الديّان بمعنى القاضي (يوم يحشر العباد حفاتا عرات، عزلا ليس معهم شيء ثم يناديهم بصوت يسمعه من بعد كما سمعه من قرب، أنا الملك، أنا الديّان، لا ينبغي لأحد من أهل الجنة ولا أحد من أهل النار عليه

1. القرآن الكريم برواية ورش الآية 61 من **سورة البقرة**.
2. إبن كثير: المصدر السابق، ج.1، ص 281.
3. مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري(ت676هـ/1279م): **صحيح مسلم**، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، رقم الحديث 2238/4، دار إحياء التراث، بيروت، 2000م، ص 189.
4. صحيح مسلم: المصدر السابق، رقم الحديث 2920، ص304.

مضلمة حتى أقصه منه)[1]. وفي هذا إتفاق واضح مع إشتقاق الكلمة من الدين والملك والقضاء كما ورد في اللغة الآرامية والعبرية.

كما حدد بعض الفقهاء المعايير والخصائص التي لابد من توفرها في مكان معين حتى يمكن القول عنه أنه مدينة قائمة بذاتها ووضعوا إتفاقا عاما وهو أنه لشروط عقد وإقامة صلاة الجمعة[2]. ودعموا رأيهم هذا بحديث نبوي حيث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا جمعة ولا تشريق ولا فطر ولا أضحى إلا في مصر جامع أو مدينة عظيمة)[3].

يضيف الماوردي رأيا يوافق ما ورد في الحديث حيث يرى أنه لا تجوز إقامة صلاة الجمعة إلا في وطن مجتمع المنازل، وهذا الرأي يؤكد أن مفهوم المدن هو المكان الذي يجتمع فيه الناس[4].

ب/ مفهوم المدينة إصطلاحا:

المدينة خلاصة تاريخ الحياة الحضرية، فهي تجمع السكان وتمارس فيها التجارة والحياة الاقتصادية، والفنون والعمارة ونظم الحكم والثقافة وهي بذلك تعطي صورة لقوة وضعف جهاز الحكم، وقد صنفت المدن الإسلامية حسب وظائفها زمن تأسيسها والأغراض التي أنشئت من أجلها، فهناك من بدأت على هيئة معسكرات حربية ثم تطورت إلى هيئة مدينة كالقيروان، ومنها ما أتخذ لأغراض إدارة لتكون مراكز للحكم، ومنها ما أنشئ كعواصم

1. علي بن أبي بكر الهيثمي(ت707هـ/1307م): **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**، ج.10، تح: حسام الدين القدسي، دار الكتاب العربي، بيروت (د.ت)، ص 345.

2. محمد عبد الله إسماعيل الشيخ عيد: **المعايير التخطيطية للمدينة بين الأصالة والمعاصرة**، "رسالة ماجستير في الهندسة المعمارية"، الجامعة الإسلامية، غزة، 1436هـ/2015 م،(غير منشورة)، ص 15.

3. القاضي أبي بكر أحمد بن علي بن سعيد المروزي(ت275هـ/888م): **الجمعة وفضلها**، ج.1، تح: سمير بن أمين الزهيري، دار عمار، عمّان، 1987 م، ص 89.

4. أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي(ت450هـ/1058م): **الأحكام السلطانية**، دار الحديث، القاهرة، (د.ت)، ص 165.

أو حواضر للدول التي قامت بالمنطقة كمدينة فاس عاصمة الأدارسة، وتاهرت حاضرة الرستميين[1]. ويمكن تعريفها على أنها مجتمع مستقر تعبر عن تحضر أهلها عكس أهل البدو، ولكل مدينة فنها المعماري والتخطيطي الذي يميزها عبر العصور والأزمنة، وتكون متغيرة الحجم والشكل والوظيفة[2].

3. مفهوم الحاضرة.

أ/ لغة: تعود إلى الفعل الثلاثي "حضر" وتعني الإقامة في الحضر أي المدن، والحاضرة هي خلاف البادية وهي المدن والقرى والعواصم الكبرى[3].

ب/ إصطلاحا: فتعتبر من الظواهر العمرانية وقد تطور مفهومها بتطور حياة سكانها والحاضرة والحوضرة ظاهرتان مرتبطتان ببعضهما سواء في علم الجغرافيا أو التهيئة العمرانية، فالحوضرة هي مجموع المراحل التي تمر بها الحاضرة من نشأتها إلى تطورها وامتدادها حيث تضم المدن الواقعة في فلكها، وهناك المدينة الحاضرة: التي يتم فيها إستحداث أنشطة تتمكن بفضلها دون باقي الأنشطة وبفقدانها لهذه الأنشطة تفقد شخصيتها وهي بهذا تكون المدينة الأم مبدئيا والمدينة الأولى والإقليم كما عرفت في العصر الوسيط، كما أنها شكل من أشكال العمران وتتركز على نواة رئيسية[4].

---

1. ميادة عبد الملك محمد صبري: **تخطيط وعمارة المدينة الإسلامية مدينة دمشق القديمة**، في مجلة كلية التربية، ع.11، واسط، ص ص 01-21، (د.ت)، ص 05.

2. محمد عبد الله إسماعيل الشيخ عيد: المرجع السابق، ص 20.

3. الفيروز آبادي: المصدر السابق: ص 374.

4. محمد علوات وفوزي بودقة: **المدينة الحاضرة آراء ومفاهيم**، في حوليات التاريخ والجغرافيا، ع.4، 2011، ص ص 89-96، ص 93.

ثانيا: عوامل نشأة المدن:

هناك عوامل عدة دفعت المسلمين لإنشاء المدن في البلاد المفتوحة خارج شبه الجزيرة العربية أهمها:

1. العامل الطبيعي:

تميزت غالبية المدن الإسلامية أنها ذات مواقع برية وذلك لإستبعاد المسلمين إقامة المدن قرب السواحل خوفا من الأعداء وعدم إمتلاكهم أساطيل بحرية قوية لمواجهة الأعداء كالدولة البيزنطية في البحر المتوسط كما أن العرب الفاتحين لم يتخذوا من المدن الكبيرة التي خلفتها الحضارات السابقة مراكز عمرانية لهم وإنما هجروها وأسسوا مدن خاصة بهم مثل هجرهم لقرطاجة في المغرب الأدنى وتأسيسهم لمدينة القيروان وإختاروا مواقع مدنهم على طرق النقل الرئيسية [1]، كما كان إختيار الفاتحين لمواقع مدنهم مراعيا لعدة شروط صحية وملائم لأهل البادية حيث نجد في المراسلة بين الخليفة عمر بن الخطاب وقائده سعد بن أبي وقاص عندما شكى وضع المكان قال له الخليفة: "أن العرب لا يصلحها من البلدان إلا ما صلح الشاه والبعير "[2].

ضف إلى ذلك أن الأمراء والولاة كانوا يختارون مواقع المدن بعناية ويراعون فيها شروط بيئية وجغرافية من تضاريس ومناخ ومياه ومراع وما يناسب التحول التدريجي في نمط البناء والعمران، ولان جميع الإرتباطات الإقتصادية والإجتماعية والحضارية بين المدينة والمناطق المحيطة بها تعنى بالموقع لأنه المكان الحيوي على سطح الأرض الطبيعي للإقليم الذي تنشا به المدينة، فقد حدد العرب المسلمون ركنين أساسيين ووضعوا شروطا لإختيار

---

1. طه عبيد خضر: **المدينة الإسلامية تاريخها وتخطيطها وعوامل إزدهارها وإنحطاطها**، دار الفكر ناشرون وموزعون، عمان، 2013 م، ص 39.

2. أبي جعفر محمد بن جرير الطبري(224-310هـ)، **تاريخ الطبري**، ج.4، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، (د.ت)، ص 41.

الموقع هما (دفع المضار وجلب المنافع)[1]، ويشير إبن الأزرق وإبن خلدون أن الذي تجب مراعاته في أوضاع المدن أصلان مهمان هما دفع المضار وجلب المنافع، وحسبهما جلب المنافع نوعان[2]:

– النوع الأول خاص بالأرضية: ودفعها بإدارة سياج الأسوار على المدينة ووضعها في مكان ممتنع إمّا هضبة متوعرة من الجبل أو بإستدارة بحر أو نهر حتى لا يتم الوصول إليها إلا بعد العبور على جسر، فيصعب منالها على العدو ويتضاعف تحصينها.

– النوع الثاني خاص بالهواء: ودفعها بإختيار المواضع الطيبة الهواء، لأن ما خبث منه بركود أو تعفن لمجاورته لمياه فاسدة أو منافع متعفنة أو مروج خبيثة يسبب الأمراض والأوبئة للحيوان والإنسان كما هو كان موجود في إحدى مدن المغرب الإسلامي.

أما في الأصل الثاني وهو جلب المنافع والمرافق يجب مراعاة الأمور التالية[3]:

– قربها من الماء كأن تكون المدينة على نهر أو إقامة عيون عذبة ووجود الماء يسهل الحاجة إليه.

– طيب المرعى وقربها، إذ لابد منها للحيوان والضرع والركوب ومتى كان المرعى الضروري لها قريبا كان أوفر من معاناة التنقل إليه.

– القرب من المزارع الطيبة لأن الزرع هو القوت الضروري كونه أسهل في إتخاذه وأقرب إلى تحصيله.

---

1. طه عبيد خضر: المرجع السابق، ص 40.

2. محمد بن علي بن محمد الأصبحي الأندلسي، إبن الأزرق(899هـ/1493م): **بدائع السلك في طبائع الملك**، ج.2، تح: علي سامي النشار، مطبعة الحرية، بغداد، 1977م، ص 273. أنظر أيضا: إبن خلدون: **المقدمة**، المصدر السابق، ص 728.

3. شهاب الدين أحمد بن أبي الربيع(272هـ/885م): **سلوك المالك في تدبير الممالك**، تح: عارف أحمد عبد الغني، دار الكنان، الرياض، 1418هـ، ص 106.

– وجود الحطب والخشب فقد كان الحطب يستخدم كوقود للنيران والخشب يستخدم في عملية البناء.

–قربها من البحر وهذا ليس ضروريا كما سبقه من الشروط وإنما لتسهيل الحصول على الحاجيات الضرورية من البلاد النائية المتمثل في عملية الإستيراد.

يقول إبن خلدون في حديثه عن أهمية العامل الطبيعي، أنه قد يكون الواضع لأسس المدينة غافلا عن نفس الإختيار الطبيعي حيث يراعي ما هو مهم على نفسه وقومه دون مراعاة حاجات غيرهم، وهذا ما حدث مع العرب في بداية الفتح وإقامتهم للمدن التي إختطوها سواء بالمشرق أو المغرب، فأنهم لم يراعوا فيها إلا المهم عندهم من مراعي الإبل وما يصلح لها من الشجر والماء المالح، ولم يراعوا عذوبة الماء كالقيروان والبصرة وسجلماسة وغيرها من المدن[1].

ويذكر إبن أبي زرع: "أن أحسن موضع المدن أن تجمع المدينة خمسة أشياء وهي: النهر الجاري والمحرث الطيب والمحطب القريب والأسوار الحصينة والسلطان إذا به صلاح حالها وامن سبلها، وكف جبابرتها" وتشبه المدينة الكائن الحي في نموه وحاجاتها، والعلاقة بين الإنسان وبيئته الجغرافية وظروفها الطبيعة تنعكس على الإنسان وتفكيره في نمط المدن[2].

2. العامل السياسي والعسكري:

أ/ العامل السياسي:

إزداد أثر العامل السياسي بعد توسع رقعة الدولة العربية الإسلامية وهذا العامل يفسر عملية نقل العواصم في أكثر من دولة ولا يشترط أن يكون هو الدافع الرئيسي في نشأة

1. إبن خلدون: **المقدمة**، المصدر السابق، ص 728.

2. أبو الحسن علي بن عبد الله إبن أبي زرع(ت726هـ/1326م): **الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس**، تص: كارل بوحن نورنبرغ، طبع بمدينة أوبسالة، 1843، ص 16.

المدينة أو الحاضرة وتطورها، بل يمكن أن يتداخل مع عوامل عدة سابقة في بنائها والبعد السياسي يكون بعد أن تصبح المدينة مقرا لمؤسسات الدولة[1].

كما يظهر الباعث السياسي واضحا في المدن التي أنشأتها الأسر الحاكمة من المسلمين الفاتحين ومنها ما لم تستمر طويلا كما في عواصم العباسيين، بالإضافة إلى هذا فان للخليفة أو الحاكم دور كبير في إختيار الموقع السياسي لعاصمته ومحاولة ربط إسم المدينة بإسم الخليفة والحاكم لما في ذلك من أثر معنوي[2].

وينطبق أثر العامل السياسي في بناء عدة مدن إسلامية أخرى في بلاد المغرب الإسلامي مدينة سجلماسة (140هـ/758م) إمارة بني مدرار ومدينة تاهرت (144هـ/759م) عاصمة الرستميين، العباسية (184-185هـ/800-801م)، ومدينة فاس(192-193هـ/816-817م) عاصمة الأدارسة ومدينة رقادة (263هـ/876م) عاصمة الأغالبة الثانية والمهدية (300هـ/912م) عاصمة الفاطميين، ومدينة مراكش (454هـ/1062م) عاصمة المرابطين[3]، ويتميز المكان الذي يتخذ مقرا سياسيا بأنه[4]:

- يتميز عن العواصم التي سبقته في المكان والإسم.
- البناء الفخم وتكون المدينة كبيرة المساحة.
- أن عمر المدينة يرتبط بعمر الدولة التي تبني ملكها بنفسها أي إستقلاليتها في الحكم، فان لم يكن الموقع حسن الإختيار إنهارت المدينة مع زوال الدولة إلا إذا إستغنت الدولة التي

1. عثمان محمد عبد الستار: **المدينة الإسلامية**، سلسلة عالم المعرفة، ع.128، الناشر المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1988، ص 12.
2. عبد العزيز غوردو: المرجع السابق، ص 55.
3. طه عبيد حضر: المرجع السابق، ص 46.
4. المرجع نفسه: ص 48.

قامت من جديد عن بناء مدينتها وإستخدمت المدينة السابقة، كما حدث في مدينة فاس بالمغرب الأقصى.

هذا وقد إنعكس أثر العامل السياسي في نشأة المدن العربية الإسلامية في المشرق والمغرب من خلال بنيتها في وجود دار الإمارة أو القصر وموقعه في وسط المدينة لإظهار الدور المركزي ومنه تتفرع الشوارع الرئيسية وتحيط به باقي المنشآت الدينية والمرافق العامة وتوزيع الوحدات السكنية وأهميتها حسب درجة قربها وبعدها من المركز(دار الإمارة)، ضف إلى ذلك أن الأسماء العديدة للمدينة ووصفها بأنها المدينة العظمى ومقر السلطان أو الحاكم يعكس بعدها السياسي[1].

ب/ العامل العسكري:

إتخذ الفاتحون المسلمون أثناء عملية الفتوحات الإسلامية في الجهة الشمالية وبلاد المغرب عدة مراكز عسكرية، كانت البداية عبارة عن مخيمات عسكرية غير ثابتة مستقرة بهدف توفير أماكن لإقامة الجند وإمدادهم بالعتاد[2]، وقد تحولت هذه المعسكرات فيما بعد إلى مدن وأمصار ومن بين المدن التي كان وراء إنشائها الدافع العسكري والدفاعي في بلاد المغرب الإسلامي القيروان بالمغرب الأدنى والتي أسست كقاعدة عسكرية لإستراحة وإيواء الجند ثم إستوطنها السكان[3].

1. عز الدين بويحياوي: **نشأة المدينة الإسلامية من خلال مدن المغرب الأوسط**، في مجلة آفاق علم الإجتماع، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية، جامعة البليدة 2، مج.5، ع.1، الجزائر، 2007، ص ص 62-82، ص 63.

2. ميادة عبد الملك محمد صبري: المرجع السابق، ص 05.

3. فخري خليل النجار: **تاريخ الحضارة العربية الإسلامية**، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، 1432هـ/2011م، ص 137.

وقد إزداد أهمية العامل العسكري في قيام المدن العديدة وتخطيطها وانتشارها واستقرار أوضاع الدول المستقلة التي قامت ببلاد المغرب بعد الفتح وينعكس أثر هذا العامل على[1]:

– إختيار المواقع والمواضع ذات الإمكانيات الدفاعية، كان تكون على جبل أو تل أو سفح محمي أو على ضفة نهر بموقع معين يسهل إختياره فكانت معظم المدن في العصر الوسيط داخلية، كما وجد الفاتحين انه من الضروري أن يكون الموقع في الصحراء حتى تكون منيعة من الأعداء.

– تأثر مخططات المدن بالوظيفة الدفاعية وفي بناء الأسوار والخنادق وأبراج المراقبة والأبواب وقد إنعكس هذا أيضا على نمطية الشوارع الداخلية فيها.

ومن الأمثلة عن المدن التي أنشئت للغرض الدفاعي تلك المعسكرات التي تحولت إلى مدن كبرى وحواضر الكوفة والفسطاط وفي بلاد المغرب الإسلامي مدينة تونس وغيرها، كذلك الأهداف العسكرية هي التي دفعت بالوالي عقبة بن نافع إلى بناء مدينة القيروان وجعلها قاعدة عسكرية لإنطلاق الجيوش في أي فتوحات عسكرية قادمة لتكون مأوى لهم عند إنتهاء المعارك والإستراحة وإعادة تنظيمهم، وجعلها أيضا مركزا لإمداد الجيش بالمؤن وإنطبق هذا على باقي المدن التي قامت ببلاد المغرب الإسلامي[2].

بالإضافة إلى هذا فقد كانت عدة مدن يصدرها العامل العسكري في التأسيس وأطلقت عليها تسمية "العسكر" ومنها في بلاد المغرب عسكر القرويين، وقد إختطت هذه المدن على أنها معسكرات للجيش ولأنها مدن عسكرية أطلقت عليها هذه التسمية وتحولت فيما بعد إلى مدن كبرى ميزت الحضارة الإسلامية[3].

---

1. خالص الأشعب: **المدينة العربية/ التطور الوظائف البنية والتخطيط، معهد البحوث والدراسات العربية**، بغداد، 1982، ص 10.

2. عثمان محمد عبد الستار: المرجع السابق، ص 45.

3. أنظر: فخري خليل النجار: المرجع السابق، ص149؛ طه عبيد خضر: المرجع السابق، ص 42.

3. العامل الإقتصادي والإجتماعي:

أ/ العامل الإقتصادي:

يعد العامل الإقتصادي من العوامل الرئيسية الذي أدى دورا في نشأة وتطور المدينة الإسلامية، والتي يراعى في إختيار موقعها لإقليمها من حيث ملائمة ظروف النشاط الإقتصادي المختلف للمنطقة كالزراعة والتجارة والصناعة والتي يفضل فيها تربتها الخصبة ووفرة مياهها وملائمة مناخها[1]، حيث نجد أنّ من شروط إنشاء المدن والأمصار شرطين أساسيين هما: إمكانية الميرة الممتدة والمستمرة، وأن يحيط بها سواد يعين أهلها بمواردها[2].

بالرغم من أن هناك من يرى أن نشأة المدن تعود إلى أنها كانت عبارة عن مراكز للتبادل التجاري وكانت ملتقى الطرق التجارية، إلاّ أنّ طه عبيد خضر يرى أن المدن لا تنشأ إلاّ بعد أن تتوفر الظروف المناسبة من جميع النواحي السياسية والإقتصادية والدينية والاجتماعية، والتي تؤدي إلى نمو التجارة وازدهارها وعندها تظهر المدن التجارية، والإزدهار الإقتصادي يكتمل بظهور هذه المدن التجارية لتلبية حاجاتها والذي يتأثر بالتحولات الحاصلة في المدن وظروفها السياسية وتغير الطرق التي ستمر بها[3].

إن العامل الإقتصادي في نشأة المدن يكاد ينحصر في النشاط التجاري، لأن هذا النشاط كان وراء تطور المدن والذي بفضله توسعت شبكة المسالك التجارية البرية أولا ثم البحرية فيما بعد، ويشير إبن خلدون إلى هذا في قوله: " فعلى نسبة حال الدولة يكون يسار الرعايا وعلى نسبة يسار الرعايا وكثرتهم يكون مال الدولة، وأصله كله العمران وكثرته"[4].

---

1. عثمان محمد عبد الستار: المرجع السابق، ص 21.
2. إبن أبي الربيع: المصدر السابق، ص 106.
3. طه خضر عبيد: المرجع السابق، ص 48.
4. إبن خلدون: **المقدمة**، المصدر السابق، ص 1009.

كما يشير أيضا إلى العلاقة بين التطور العمراني وما صاحبه من تأثير في حياة السكان والإزدهار الإقتصادي، حيث يقول: "ومتى عظم الدخل والخرج إتسعت أحوال الساكن ووسع المصر"[1].

هناك مدن تجارية ومدن فرضة وهي مدن الموانئ والمرافئ، وتتمثل أهمية هذه المدن في التطور العمراني والسكاني الذي عرفه المغرب الإسلامي من النصف الثاني للقرن الثاني وخلال القرن الثالث والرابع للهجري، وبروز شبكة من المسالك التجارية بالإضافة إلى العلاقة العضوية بين تطور التجارة ونشر الإسلام فقد ظهرت تجمعات سكانية في مختلف مراكز التجارة المؤسسة على طول المسالك الرابطة بين الصحراء جنوبا وموانئ البحر الأبيض المتوسط شمالا من جهة، وبين الصحراء والمشرق الإسلامي من جهة أخرى، فقد كان للتجار المسلمين دور آخر إلى جانب التجارة وهو نشر الإسلام، كما سمح الموقع الجغرافي لبلاد المغرب بالانفتاح التجاري والحضاري وقد كان له أثر في تطور المسالك التجارية جنوب–شمال، وغرب–شرق، وإزدهار تجارة الذهب والرقيق بصفة خاصة[2].

بعد إبراز النقاط الأساسية التي أثرت على تطور المدن التجارية يتضح لنا وجود ثلاث مناطق تجارية رئيسية[3]:

1. إبن خلدون: **المقدمة**، المصدر السابق، ص 997.

2. الحبيب الجنحاني: **المجتمع العربي الإسلامي/الحياة الإقتصادية والإجتماعية**، مطابع السياسة، الكويت، 1426هـ /2005م، ص 78.

3. المرجع نفسه، ص 81.

ـ منطقة إفريقية: وأبرز مراكزها التجارية القيروان وما أنشئ حولها القصر القديم ورقادة[1] ومدن الموانئ التجارية على الشواطئ الشرقية والشمالية في العصر الأغلبي من أشهرها صفاقس وسوسة، بنزرت، طبرقة.

ـ منطقة المغرب الأوسط: وتتصل المسالك التجارية فيها بمدينة تيهرت عاصمة الدولة الرستمية، وتعتبر مركز تجاري حساس يربط مسالك الصحراء بالأندلس، وجزر البحر الأبيض المتوسط عن طريق مدينة تنس ويعتبر حلقة وصل أساسية في التبادل التجاري بين المغرب والمشرق.

ـ منطقة المغرب الأقصى: بواسطة واجهتيها البحريتين؛ واجهة بحر الظلمات كما يطلق عليها الجغرافيين العرب ـ المحيط الأطلسي ـ وواجهة البحر الأبيض المتوسط، وأبرز المراكز بهذه المنطقة: مدينة أودغست الواقعة على مسلك تجارة الذهب والملح، والرقيق ببلاد السودان الغربي وسجلماسة وتكرور وفاس وأغمات.

ب/ العامل الإجتماعي:

يرى القزويني أن نشأة المدينة تكون عندما تكون هناك هيئة إجتماعية حيث يقول: "لو إجتمعوا في صحراء لتأذوا بالحر والبرد والمطر والريح، ولو تستروا بالخيام والخرقهات لم يَأمنوا مكر اللصوص والعدو ولو إقتصروا على الحيطان والأبواب كما ترى في القرى لا سور لها، لم يَأمنوا صولة ذي البأس، فألهمهم الله تعالى إتخاذ السور والخندق والفصيل فحدثت المدن والأمصار والقرى والديار"[2].

---

1. **رقادة:** بلدة طيبة بافريقية بالقرب من القيروان كثيرة البساتين وليس بإفريقية أعدل هواء ولا أطيب ماء ولا أصح تربة منها؛ أنظر: أحمد بن يوسف القرماني(ت1019هـ/1610م): **أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ**، مج.3، تح: أحمد خطيب وفهمي سعد، عالم الكتب، 1412هـ/1992م، ص 373.

2. زكريا بن محمد بن محمود القزويني(ت682هـ/1283م): **آثار البلاد وأخبار العباد**، دار صادر، بيروت، (د.ت)، ص 07.

فالأمراء والولاة في العصر الوسيط لمّا أرادوا بناء المدن أخذوا آراء الحكماء في ذلك، والإنسان لا يمكنه أن يعيش وحده بل يضطر إلى الإجتماع بغيره حتى تحدث الهيئة الاجتماعية التي تؤدي إلى نشأة المدن والتي يتوقف عليها المطعم والملبس[1].

نجد كذلك قدامة بن جعفر في إطار حديثه عن نشأة المدينة أن أحد المعايير المهمة التي توضح دوافع نشأة المدن هي: حاجات الناس من حرف وصناعات فقد أحدثت الكثرة من الناس ضرورة الإجتماع في المدينة لتلبية تلك الحاجات وهذا يعني أنها تكون مرتبطة بحاجات الناس التي تختلف من شخص لآخر حسب الطبيعة البشرية[2].

كذلك يرى إبن خلدون أن الفرد الواحد غير مستقل بتحصيل حاجاته في معاشه وأنهم متعاونون جميعا في عمرانهم على ذلك، وهذا يعني أنه لابد من مراعاة أهمية العامل الإجتماعي في نشأة المدن وفضله في تفاضلها في كثرة الرزق ونفاق الأسواق هو تفاضل في عمرانها في الكثرة والقلة فالمدن الآهلة بالسكان إذا وزعت أعمالهم كلها على مقدار ضروراتهم وحاجاتهم، إكتفى فيها بالأقل من تلك الأعمال[3].

وفي ما يخص المراجع فقد تحدثت عن ضرورة العامل الإجتماعي في نشأة المدن لابد منه لأنه يعتبر أحد العناصر الرئيسية في المدينة الإسلامية، ويظهر دوره من خلال جملة من الأمور منها[4]:

---

1. القزويني: المصدر السابق: ص 10.

2. قدامة بن جعفر(ت210هـ/825م): **الخراج وصناعة الكتابة**، شر وتح: محمد حسين الزبيدي، دار الرشيد، بغداد،1981م، ص 323.

3. إبن خلدون: **المقدمة**، المصدر السابق، ص 13.

4. محمد الكحلوت: **قراءة تقييمية للمدينة الإسلامية**، في The 2ed International Engineering Conference on Construction and Development، الموضوع السادس، الجامعة الإسلامية، غزة، (د.ت)، ص ص 38-54، ص 50.

– تخطيط المدينة: القائم على أساس قبلي في توزيع السكان على أقسام المدينة حيث يراعى في ذلك أصل القبائل فلا يتم جمع القبائل المتناحرة في مدينة واحدة وأن كان ذلك لابد من توزيعهم في حارات متباعدة.

– الإستقرار الحضري: والذي يقصد به التفاعل والتماسك الإجتماعي القائم على شريعة الإسلام الذي كان أحد العوامل الإجتماعية التي أدت إلى قيام المراكز العمرانية.

– الدين الإسلامي: الذي هو دين حضر ومدن ولذلك إكتملت الضرورة الإجتماعية والدينية في نشأة هذه المدن.

هذا وقد إرتبط العامل الديني بالعامل الإجتماعي في نشأة المدن الإسلامي حيث يعد العامل الديني عاملا رئيسيا في نشأة الكثير من المدن منذ أقدم العصور وفي معظم الحضارات السابقة؛ وإرتبط إنشاء المدن الإسلامية بالعامل الديني على نحو واضح لأنه بتشريعاته وأحكامه الفقهية يشجع على الحياة الحضرية، فأركانه من صلاة وصوم وحج ترتبط إرتباطا وثيقا بحياة الجماعة والإستقرار ضمن جماعات مستقلة[1].

لهذا نجد الكثير من المدن في بلاد المغرب الإسلامي بنيت على أساس ديني لتنسجم مع حاجات المجتمع الحضري كمدينة تونس وفاس وغيرهما، ويعد هذا العامل هاما في بناء المراكز العمرانية لأن وجود المساجد الجامعة ضمن تخطيط المدينة كونت الصفة الأساسية والرئيسية للمدن الإسلامية وتركزها في وسط المدينة[2]، ومنه تكونت باقي الشوارع والمرافق حول المسجد الجامع ومنها ما تم تحديد موضعها بضريح مقدس أو إرتبطت بوجود الأولياء في تلك المنطقة ما جعلها تتكون حولها كبريات المدن الإسلامية، وظهرت حولها المساكن

1. طه عبيد خضر: المرجع السابق، ص 35.
2. المرجع نفسه: ص ص 49–50.

والأسواق ومختلف الخدمات وبهذا إستطاعت المدن الدينية أن تنمو وتتطور إلى أن تحولت إلى مدن للتجارة والصناعة والثقافة[1].

من هنا نصل إلى القول بأن القيمة الإجتماعية والثقافية والدينية قد ساهمت بفاعلية في بناء المدن ويؤثر هذا العامل في بنية المدينة وشكلها، فمعظم الخدمات التي تكون في المدينة ومختلف الوظائف تتمحور حول العامل الديني الذي يعد المحور الوظيفي والتخطيطي والمعماري في المدينة الإسلامية.

ثالثا: تخطيط المدينة:

كانت الرؤية الإسلامية في تخطيط المدن مراعية لجوانب التخطيط المختلفة، سواء كانت هذه الجوانب عمرانية أو إقتصادية أو إجتماعية ويبدأ التخطيط بإختيار الموقع ونعني موقع المدينة وعلاقاتها بما يحيط بها، وقد أثر في اختيار مواقع المراكز العمرانية الإسلامية عامة والمغربية خاصة، عوامل عدة إختلفت طبيعتها من مدينة الأخرى وإتفقت في شروط أساسية حددها كل من أبي الربيع وأشار إليها إبن خلدون وإبن الأزرق في القرن التاسع الهجري[2].

يشير إبن أبي الربيع إلى مجموعة الشروط والمبادئ التخطيطية التي يقول أنه إستخلصها من وصايا الرسول صلى الله عليه وسلم وخلفائه الراشدين أثناء بناء المدينة المنورة والمدن العربية الباكرة (البصرة، الكوفة، والفسطاط والقيروان...الخ)، وهذه الشروط تنقسم إلى نوعين من المبادئ التي يجب مراعاتها في بناء المراكز العمرانية.

1. فواز عائد جاسم كركجة: **جوانب من بنية المدينة العربية الإسلامية ودواعي توثيقها**، في مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية، مج.11، ع.1، 2011/04/24م، ص ص 308-324، ص 312.
2. عثمان محمد عبد الستار: المرجع السابق، ص 2.86.

1. **شروط إختيار الموقع:** وتتمثل في[1]:

- أولهما: سعة المياه المستعذبة.
- الثاني: إمكانية الميرة المستمدة.
- الثالث: إعتدال المكان وجودة الهواء.
- الرابع: القرب من المرعى والإحتطاب.
- الخامس: تحصين المنازل من الأعداء والذعار.
- السادس: أن يحيط بها سواد يعين أهلها.

يوضح لنا خليف مصطفى غرايبة من خلال الشروط التي ساقها لنا إبن أبي الربيع الأتي[2]:

- سعة المياه المستعذبة: وهي شرط أساسي في إختيار مواقع المدن وسعته لأن هناك إمكانية لازمة لأنه من إزدياد متوقع في عمران المدن بالسكان.
- إمكانية الميرة المستمدة: فتوفير الغذاء لابد منه لإستمرارية حياة الساكنة لهذا يجب مراعاة إرتباط موقع المدينة بالطرق التجارية مما ينعكس بالإيجاب على رخائها.
- إعتدال المكان وجودة الهواء وهذا الشرط لإعتبارات صحية في إختيار المسلمين لمواقع مدنهم وهذا لتفاعل الإنسان مع البيئة الطبيعية.
- مراعاة توفر الزرع والمرعى والإحتطاب لضمان تأمين مصادرها وإحتياجاتها الضرورية.
- لابد من تحصينها بالمعالم الطبيعية لتحجز عنهم الأخطار الخارجية، كأن يحيط بها نهر مثلا أو تحصينها بسور للحماية وضمان الأمان.

2. **شروط إختيار الموضع وتخطيط المدينة:** يأتي تحديد الموضع بعد إختيار الموقع وهو يعني تنسيق النظام المادي الطبيعي للمدينة، أي المساحة وإرتباطها بمجتمعها ومرافقها

1. إبن أبي الربيع: المصدر السابق، ص 106.

2. خليف مصطفى غرايبة: **منهجية الفكر الإسلامي في تخطيط المدينة العربية الإسلامية(إبن أبي الربيع أنموذجا)**، في المجلة الأردنية للعلوم الإجتماعية، مج.8، ع.1، 2015، ص ص 183-199، ص 190.

وخدماتها في إنسجام وتوافق مع الحاجات الإجتماعية والإقتصادية وبالتالي قربها أو بعدها من مركز الحكم أو ما يعرف بدار الإمارة، ومن أهم شروط إختيار الموضع كما حددها إبن أبي الربيع ما يلي[1]:

- أولهما: أن يسوق إليها الماء العذب للشرب حتى يسهل تناوله من غير عسف.
- الثاني: أن يقدر طرقها وشوارعها، حتى تتناسب ولا تضيق.
- الثالث: أن يبنى فيها جامعا للصلاة في وسطها ليقرب على جميع أهلها.
- الرابع: أن يقدر أسواقها بحسب كفايتها، ولينال السكان حوائجهم من قرب.
- الخامس: أن تميز قبائل سكانها، بأن لا تجمع أضداد مختلفة متباينة.
- السادس: إذا أراد سكناها فليسكن أفسح أطرافها، وأن يجعل خواصه كنفا من سائر جهاته.
- السابع: أن يحوطها بسور، خوف إغتيال الأعداء، لأنها بجملتها دار واحدة.
- الثامن: أن ينقل إليها أهل العلم والصنائع بقدر الحاجة لسكانها، حتى يكتفوا بهم ويستغنوا عن الخروج إلى غيرها.

سنحاول شرح الشروط التي حددها إبن أبي الربيع عند إقامة المدن وإختيار موضعها في الأتي:

- في الشرط الأول: تسهيل الحصول على الماء دون عناء، والحرية في إختيار الموقع دو الوقوع في مشكل الحتمية التي كانت توجب على الوالي اختيار إقامة مدنه على ضفاف الأنهار والوديان، وهو بهذا الشرط يؤكد لنا على ضرورة جلب الماء للمدن البعيدة عن المجاري المائية.

- الشرط الثاني: وهو جد مهم حتى يتناسب مع حركة المرور وكثافة السكان عند تطور المدن وكثرة عمرانها.

1. إبن أبي الربيع: المصدر السابق، ص ص107-108.

– الشرط الثالث: المسجد الجامع لابد منه في المدن الإسلامية فهو أول ما يجب إختطاطه بمكونات معمارية إسلامية.

– في الشرط الرابع: دلالة واضحة على إهتمام المسلمين بالجانب الإقتصادي فكان السوق من المرافق الأساسية في المدن.

–عن شرط تمييز القبائل وأنها لا يجب أن تجمع الأجناس المتضادة في حارة واحدة حتى يتم القضاء على المشاكل التي تنتج عن العصبية القبلية.

– ويرى إبن أبي الربيع من خلال الشرط السادس أن الحاكم إذا أراد أن يسكن، فليسكن أفسح أطرافها تجنبا لأي تغيير في نظام الحكم وإنتقال دار الإمارة.

– الشرط السابع لكي يتم تحصين المدينة من الذعّار والأعداء بسور يحميها ويؤمن سلطانها.

– الشرط الأخير أراد من خلاله إبن أبي الربيع أن يؤكد لنا على ضرورة جلب العلماء للمدينة وتزويدها بمختلف العلوم كي يوفر على طلبة العلم عناء التنقل والإرتحال إلى بقاع أخرى بغية الحصول على العلم والإلتقاء بأهله.

من خلال شروط إبن أبي الربيع في تخطيط المدن، وما يجب مراعاته عند إختيار الموضع والموقع تشكلت ثلاث محاور رئيسية لابد منها (المسجد الجامع والسوق ودار الإمارة)، وقامت عليها معظم المدن الإسلامية بشكل عام، وطبقت كذلك في مدن بلاد المغرب الإسلامي.

– **مسجد جامع للصلاة:** لما له من مكانة عظيمة في الإسلام ويعتبر من أهم العناصر العمرانية في تخطيط المدينة الإسلامية لإرتباطه بالوظائف التالية[1]:

1. محمد عبد الله إسماعيل الشيخ عيد: المرجع السابق، ص 60.

– أنه مركز ديني وإجتماعي وتقام فيه شعائر الصلاة وتفسير ودراسة تعاليم الدين وكتاب الله.

– مركز سياسي لإلقاء الخطب وتلقي البيعة وإذاعة البيانات وحشد الجيوش كما أنه مكان لإجتماع وإستقبال السفراء وساحة للعدل والقضاء.

– كونه مركز ثقافي وديني وتعليمي تقام فيه حلقات العلم والمناظرات بين العلماء والفقهاء.

– **السوق:** والذي يكون لقضاء حاجات السكان الإقتصادية والتجارية حيث يوفر عليهم عناء التنقل للبيع والشراء ويكون بالقرب من المسجد للإستفادة من مركزيته وسهولة الوصول إليه من كل أطراف المدينة[1].

– **دار الإمارة:** ويقصد بها المراكز الإدارية والحكومية التي أعتبرت من مميزات المدن الإسلامية لممارسة السلطة السياسية فيها[2].

3. **تخطيط الشوارع:** تعد الشوارع في المدن الإسلامية وسيلة مهمة للاتصال وكانت تؤدي خدمات حضرية متعددة، إذ كان يمارس فيها النشاط التجاري خاصة في الشوارع القريبة من المنطقة المركزية للمدينة وهي المسجد، ولهذا فقد عمد المسلمون عند تخطيطهم لمراكزهم العمرانية لإجراء تخطيطي يدل على مدى فهمهم لأثر الطرق والشوارع في المدينة وقد صنفوا الشوارع إلى شوارع عامة وشوارع خاصة[3].

وفيما يخص مقاييس الشوارع والأماكن العامة فقد إعتمد المسلمون على الحديث الشريف "إذا إختلف الناس في الطريق فحدها سبعة أذرع"[4]. هذا التحديد ليس عاما وإنما

1. أسامة إسماعيل عثمان: **التخطيط الحضري في بعض مصنفات العلماء المسلمين دراسة في الفكر الجغرافي**، في مجلة البحوث الجغرافية، ع.10، جامعة الكوفة، 2008، ص ص 273–289، ص 282.

2. إبن أبي الربيع: المصدر السابق، ص 110.

3. عثمان محمد عبد الستار: المرجع السابق، ص 32.

4. أبي عبد الله محمد بن إسماعيل: **صحيح البخاري**، رقم الحديث 48، دار إبن كثير، بيروت، 1423هـ/2002م، ص 73.

كتقدير لحفظ حق الطريق وفي هذا يمكن الإستئناس بما جاء به مصطفى أحمد حموش نقلا عن الفقيه الحنفي السرخسي، بوضع إختبار تطبيقي لتحديد قياس عرض الطريق المناسب لمرور دابتين متخالفتين محملتين لتحديد مقاييس الشوارع العامة سواء من حيث الإرتفاع أو العرض بحسب إستعمال وسائل النقل، **(الملحق 01)** والغرض من جعل المقياس الشارع سبعة أذرع حتى تتسع للأحمال والأثقال دخولا وخروجا[1].

بعد تحديد المسلمين لأهم المعاير التخطيطية للمدينة الإسلامية من وجود المسجد الجامع والسوق ودار الإمارة وسور للمدينة وتحصينها سواء طبيعيا أو ببناء سور لها. إنتقلوا إلى معيار آخر وهو معيار الجوار ومنع الضرر والتكشف والإطلاع وذلك لحفظ عرض المسلم وحرمته التي تعتبر مقصد من مقاصد الشريعة الإسلامية، وإتخذوا الحادثة التي وقعت زمن عمر بن الخطاب كحجة في ذلك في أن رجلا قد أحدث نافذة فكتب له عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن يضع وراء تلك النافذة سريرا يقوم عليه رجل، فان كان ينظر إلى ما في دار جاره منع من فتحها، وإن لم ينظر ولم يرى شيئا لم يمنع وقرروا رفع ستائر الأسطح إلى متوسط قامة الإنسان **(الملحق 02)**، كما ذكر إبن الرامي رأي آخر حول عدم إستعمال منارة المسجد إذا كانت تؤدي إلى الكشف عن المنازل التي تكون بجواره[2] **(الملحق 03)**.

1. مصطفى بن حموش: **المعايير التخطيطية في المدن الإسلامية العتيقة**، في مجلة جامعة الملك سعود، مج.15، العمارة والتخطيط، ص ص139-165، الرياض، 1423هـ/2003م، ص 154؛ نقلا عن أبي سهل السرخسي: **المبسوط**، ج.15، دار المعرفة، بيروت، 1406هـ، ص 55.

2. أبي عبد الله محمد بن إبراهيم اللخمي إبن الرامي(ت386هـ/1284م): **الإعلان بأحكام البنيان**، تح: فريد بن سليمان، تق: عبد العزيز الدولاتلي، مركز النشر الجامعي، (د.ب)، 1999، ص ص67-79.

خلاصة:

نستخلص مما سبق أن تخطيط المدن والحواضر الإسلامية في العصر الوسيط تميز بإختلافه عن تخطيط مدن الحضارات السابقة حيث تم على أسس إسلامية فكانت لها عوامل ودوافع أدت بالفاتحين إلى إقامة مراكز عمرانية لهم في كل الأقطار المفتوحة، ولم يهملوا المعايير الأساسية لنشأة أي مدينة إسلامية حيث كان المسجد وفق الرؤية الإسلامية هو النواة الأولى لتأسيس هذه المراكز، وإتخاذ دار للإمارة لتسيير الشؤون السياسية وتكون مقرا للحكم، كذلك تميزت شوارع المدن الإسلامية بتدرجها من حيث السعة والضيق حسب طبيعة الإستعمال وتنظيم أسواقها كان وفق تخصصاتها لأن أسواق المدن الإسلامية إمتازت بالتخصص بحسب الحرف والصنائع، كما رعي في تخطيط هذه المدن مختلف الشروط التي جاء بها المنظِرين في هذا الميدان.

الفصل الثاني: عمارة المدن في بلاد المغرب الإسلامي

أولا: الأحكام الفقهية في تنظيم المدن

ثانيا: المدن التي قامت ببلاد المغرب الأدنى والأوسط

ثالثا: أسباب خراب المدن بالمغرب الإسلامي

تمهيد:

شهدت بلاد المغرب الإسلامي نهضة عمرانية بعد إستقرار الفتوح في المنطقة، والتي تميزت بتعدد المراكز العمرانية، إلى حد بروز شبكة حضرية كونتها مدن كبرى ووسطى وصغرى، هذه الشبكة تمحورت حول المدن الكبرى التي أسسها الأمراء والولاة وإتخذوها عواصم لدولهم التي قامت بلاد المغرب وقواعد لجيوشهم مثل القيروان، وفاس، وسلجماسة وتيهرت كما نشأت المدن المتوسطة والصغرى على طول المسالك والطرق التجارية سواء التي اتجهت نحو المشرق أو تلك التي بإتجاه بلاد السودان جنوبا، في هذا الفصل سنحاول الوقوف على أهم المدن التي أنشأت في بلاد المغرب الإسلامي ومختلف التطورات التي عرفتها والأسباب التي أدت إلى خرابها.

أولا: الأحكام الفقهية في تنظيم المدن

تعتبر المصادر الفقهية من الروافد الأساسية في فهم وتطور العمارة الإسلامية ولاسيما تلك التي تعالج بطريقة مباشرة مسألة التموين وما يرتبط به، والأحكام الفقهية هي مجموعة الأسس والقواعد الشرعية المستمدة أساسا من القرآن والسنة والتي سعت إلى تحديد الأسس التي كانت تتحكم في التخطيط المادي للمدينة الإسلامية[1]. ويعتبر الماوردي من أهم من حدد الخصائص الفقهية التي تقوم عليها المدن وهي[2]:

- أن يستوطنها أهلها بهدف طلب الأمن والسكون والدعة والراحة.
- حفظ الأموال فيها من اغتصاب وإضاعة وحسن تدبير.
- صيانة الحريم والحرمات من إنتهاك ومذلة، وهذا ما نجده في تخطيط المسلمين لشوارع المدينة لحفظ أعراض الناس وكذلك في التطاول في البنيان.
- إلتماس ما تدعو إليه الحاجة من متاع وصناعة من خلال حرية إقامة الصناعات شرط أن تكون خارج أسوار المدينة إن كان فيها مضرة للعامة.
- التعرض للكسب وطلب المادة ولهذا قسمت الأمصار حسبه إلى نوعين: مصر مزارع وسواد، ومصر فرصة وتجارة.
- مصر المزارع والسواد فهو أثبت المصريين أهلا وأحسنها حالا وأولهما إستيطانا لوجود مواده فيه، وإقتناء أصولهما منه، ومن شروطه أن يكون في وسط سواده، ومن جميع أطرافه، حتى تعتدل مواده منها وتتساوى طرقه إليها، وهو موفور العمارة ما كان سواده عامرا... وبالنسبة لمصر الفرصة والتجارة فهو من كمال الإقليم، وزينة الملك لأنه مقصود بتحف

1. عثمان محمد عبد الستار: المرجع السابق، ص 05.

2. أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي(ت450هـ/1058م): **تسهيل النظر وتعجيل الظفر في أخلاق الملك وسياسة الملك**، تح: رضوان السيد، بيروت،(د.ت)، ص 209.

البلاد وطرف الإقليم، فلا يجوز فيه مطلوب ولا ينقطع عنه مجلوب، والمعتبر فيه ثلاثة شروط[1]:

– أولهما أن يتوسط أمصار الريف ويقترب من بلاد المتاجر فلا يبعد على مطالبه، ولا يسبق على قاصده،

– الثاني أن يكون على جادة تسهل مسالكها، ويمكن نقل الأثقال فيها إما في نهر أو على ظهر، فإن توعرت مسالكه، وأجدبت مفاوزه عدل الناس عنه إلا من ضرورة.

– الثالث أن يكون مؤمون السبل لأهل الطرقات، خفيف الكلف قليل الأثقال فإنه يأتيه إلا جالب مجتاز يطلب من البلاد إحداها، فإن توعرت هجر وهذا أكثر البلدين طلبا، وأنشرهما في الأقاليم ذكرا، وهو معد لمطالب الملوك لا لموادهم، فإن استمدوه وتحيفوه بالمكوس والأعشار نفروا عنه.

1. **مبدأ الأخذ بالعرف ومنع الضرر:**

وقد إعتمد الفقهاء والمسلمون في تناولهم لأحكام البنيان على الآية الكريمة وعلى الحديث الشريف، أما الآية فهي قول الله تعالى: "خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ "[2]، ويفسرون العرف في الآية بأنه مجموعة القواعد والسلوكات التي تم التدرج والتطبع عليها ولم يعارضها أحد طالما لم تتناقض مع ما ورد في القرآن الكريم أو الحديث الشريف، والعرف المتعلق بالبيئة العمرانية له ثلاثة معان أساسية[3]:

1. الماوردي: **تسهيل النظر**، المصدر السابق، ص ص 212–213.

2. القرآن الكريم برواية ورش الآية 199 من **سورة الأعراف**.

3. خالد محمد مصطفى عزب: **تخطيط وعمارة المدن الإسلامية**، كتاب الأمة سلسلة دورية، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، 1997، ص ص 81–82.

- **المعنى الأول:** هو ما يقصده الفقهاء من إستنباط الأحكام في ما ليس فيه نص من المسائل العامة التي قد تؤثر في البيئة العمرانية، كعادة أهل بلدة ما، بالاعتماد على القاعدة الفقهية التي تقول بـ: "العادة محكمة" أي أن العادة تعتبر وتحكم إذا كانت غالبة أو مستمرة.

- **المعنى الثاني:** هو إقرار الشريعة لما هو متعارف عليه بين الجيران وهو أكثر تأثيرا على المدينة الإسلامية، ويكون لتحديد الأملاك والحقوق وهذا وفق القاعدة التي تقول: "من في يده شيء فهو ملكه، لا يحل لأحد الإعتراض عليه ولا يكلف إثباته ببيئة.

- **المعنى الثالث:** هذا المعنى يرتبط بالأنماط العمرانية في البناء، فعندما يتصرف الناس في البناء بطريقة متشابهة يصبح عرفا بنائيا أو نمطا موحدا.

كما إعتمد الفقهاء أيضا في تحديدهم لأحكام البنيان على الحديث النبوي الشريف: "لا ضرر ولا ضرار"[1]، والضرر هنا هو كل عمل مخالف وللتوضيح ضرب مثل فتح كوة أو نافذة وتأثير ذلك في العلاقة بين الجيران وتحديد سلوك القاطنين بها وما يتطلبه ذلك من ضرورة إحترام للآداب العامة.

وقد نتج عن تطبيق مبدأي "الأخذ بالعرف" ولا ضرر ولا ضرار "في العمارة الإسلامية، ظهور مبدأ آخر يدعى حيازة الضرر، "ويعني أن من سبق في البناء يحوز العديد من المزايا أهمها حيازة الضرر وتملك الأرض ويجب على الجيران أن يحترموها ويأخذوها بعين الإعتبار عند قيامهم ببناء بيوتهم وبالنسبة للطرق والشوارع فهي ملك عام وحق من حقوق جميع السكان والمارة[2]، وتصنف شوارع المدينة الإسلامية إلى ثلاثة مستويات:

---

1. إبن ماجة أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني(ت275هـ/888م): **صحيح سنن إبن ماجة**، ج.1، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، رقم الحديث 48/3، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ص 97.

2. مصطفى كامل الفرا وشيماء جهاد الهسي: **تخطيط المدن بين المضمون الإسلامي والمضمون الحديث (دراسة مقارنة)**، في IUG Journal of Natural and Engineering Studies ، مج.21، ع.1، الجامعة الإسلامية، غزة، 2013، ص ص 123-159، ص 132.

– الشوارع العامة: التي يكون الحق فيها لعامة المسلمين والإنتفاع لفائدة كل المارة ويمنع التصرف فيها بما يضر المارة.

– الشوارع العامة الخاصة: التي يكون التصرف فيها من طرف الجماعة أقل وسيطرة السكان الأصليين عليها أكثر.

– الشوارع الخاصة: وهي ملك لساكنيها فقط ومشتركة الإنتفاع بينهم، ويمكن لأي ساكن أن يتصرف فيه بعد موافقة باقي السكان.

وليتم رفع الضرر عن الشوارع بنيت بوابات على مداخل الشوارع في المدينة الإسلامية وذلك للإعلام بحدود أهل تلك الشوارع وضمان الأمن لهم، وسد الذرائع بالإضافة إلى تنوع في الأشكال المعمارية في المراكز العمرانية الإسلامية بإختلاف الأزمنة والأمكنة إلا أنها لم تخرج عن المتطلبات الرئيسية وهي: حفظ الدين وحفظ النفس والعقل، وحفظ النسل وحفظ المال وفق الحاجيات الضرورية والمستحسنة. لذا كان هناك تدرج هرمي في شوارع المدن الإسلامية[1]، **(الملحق 04)**.

2. دور المحتسب في العمران:

كان للمحتسب دور في ضبط عمليات التعمير ومواد البناء وطرق تصنيعها، بالإعتماد على أحكام السابقين وما جرى به العرف في مناطق سكناهم، ويذكر إبن خلدون أن من أسباب التنازع في العمران الإسلامي كثرة الإزدحام والتشاحن في الفضاء والهواء، الأعلى والأسفل، والإنتفاع بظاهر البناء مما يتوقع معه حصول الضرر في الحيطان، فيمنع الجار جاره من ذلك إلا ما كان فيه حق والإختلاف في إستحقاق الطرق والمنافذ للمياه الجارية والفضلات المسرية في الصرف الصحي[2].

1. لحسن تاوشيخت: **عمران سجلماسة دراسة تاريخية وأثرية**، ج.1، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، 1429هـ/2008م، ص 155.

2. إبن خلدون: **المقدمة**، المصدر السابق، ص 513.

ويعتمد المحتسب في حل النزاعات بين المتخاصمين وفي إصدار الأحكام بالإعتماد على مواد البناء من خلال عقد الجدران وحمل الخشب على الجدران، وطريقة بناء الكوة وغلق الباب ووجه الحائط وميل الحيطان وإعتدالها، ويختص في ذلك أهل البصيرة العارفين بالبناء وتقنياته والذين يستشار برأيهم من طرف الحكام فيما هم أعلم بأحوال البناء ويعتمدون في إصدار أحكامهم على خبرتهم في مجال العمران في مختلف القضايا المرتبطة بمنع الضرر[1].

الحسبة هي واسطة بين أحكام القضاء وأحكام المظالم، فإذا كانت مقاصد الشريعة قد إهتمت بالشروط الواجب توفرها في إختيار مواضع ومواقع المدن وتخطيطها العام، فإن المحتسب يهتم بالبنية الداخلية للمدن من حيث تقسيم الشوارع، توزيع المباني على جوانبها والعلاقة بين المنشآت والشروط الواجب توفرها فيها ولهذا يمكن القول بأن دور المحتسب في عمران المدن يتمثل في كشف الضرر بين الجيران وحل النزاعات فيما بينهم[2]، كذلك مراقبة الأسواق وتوزيع، الأحياء والتنظيم العمراني داخل المراكز العمرانية ومراقبة نظافة الشوارع بتدخله في إثبات مصدر الضرر ومنع زيادته كالتلوث والزحام ورمي الأزبال... بالإضافة إلى المحافظة على تخطيط العمران في المدينة عند زيادة نموها وتوسع رقعتها[3].

3. قرابة النسب:

قرابة النسب هي إحدى ركائز العمران الإسلامي التي ساهمت إلى حد كبير في تحديد المكونات المعمارية للمدينة الإسلامية وتخطيطها الداخلي، كما تعتبر القرابة هي إحدى مقاصد الشريعة الإسلامية وترتبط إرتباطا وثيقا بحفظ النسل، وعملت بعض الأحكام الفقهية

1. إبن الرامي: المصدر السابق، ص 53.

2. عبد الأحد السبتي وحليمة فرحات: **المدينة الإسلامية في العصر الوسيط (قضايا ووثائق من تاريخ المغرب الإسلامي)**، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1994، ص140.

3. محمد عبد الله إسماعيل الشيخ عيد: المرجع السابق، ص 45.

مثل حق الشفعة والإرث، والملكية الجماعية على تجددها بإستمرار داخل المدينة الإسلامية[1].

أ/ حق الشفعة: حق أعطاه الله سبحانه وتعالى للجار أو الشريك في الحي وهي حق التصرف في الأملاك والعقارات، وهي كذلك إستحقاق الشريك في إنتزاع حصة شريكه المنتقلة عنه من يد من إنتقلت إليه، والحكمة من ذلك في الشريعة الإسلامية هي دفع، لأنها المتوقع من دخول الغرباء للمدينة دون علم أهلها، والمحافظة على التركيبة الإجتماعية، وقد ثبتت الشفعة في الأحاديث النبوية فمنها العديد التي تدل على حق الشفعة كحديث جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم "قضى بالشفعة في كل تركة لم تقسم ربعه أو حائط لا يحل له أن يبيع حتى يؤذن شريكه فإن شاء أخذ وإن شاء ترك، فإن باعه ولم يؤذن له فهو أحق به"[2]. وفي هذا دليل واضح على ضرورة أخذ الإذن من الجار قبل التصرف في الملك، وذلك لحفظ أمنه وصيانة عرضه، وله الحق في أن يشتري هو بدل القريب والتصرف في ذلك.

ب/ الإرث: هو ما يورثه الشخص أو الجماعة لمن بعدهم، ولقد إهتمت الشريعة الإسلامية بالميراث والممتلكات وتوزيعها ومنها الأراضي والمباني وكذلك كان الإرث حتى في الصنائع التي يتوارثونها أبا عن جد، حيث مثل نظام السوق والصناعات المتوارثة أهم صورة للتشكيلة المعمارية، وكان أهل الصنعة يقومون بتدريب أبنائهم وإكسابهم الخبرة منذ الصغر ليتوارثها فيما بعده[3].

جـ/ الملكية الجماعية: مثلث أحد أركان الإقتصاد الإسلامي داخل المراكز العمرانية حيث كانت تؤدي وظيفة إجتماعية من خلال تأثير التنظيم الحرفي الذي كانت نقوم به مجموعات حرفية على تصميم المدينة، وكان يرتكز أهل الصنعة الواحدة في موضع واحد على إمتداد

1. محمد عبد الله إسماعيل الشيخ عيد: المرجع السابق، ص42.
2. صحيح مسلم، المصدر السابق، رقم الحديث 4128، ص 703.
3. محمد الكحلوت: المرجع السابق، ص 46.

شارع واحد غالبا ويطلق على الشارع إسم الحرفة التي كانت به مثل: الصفارين، العطارين والجزارين... الخ، كما كان تجاوز الصنائع في المدينة يعتمد فيه على أساس تقاربها وتكاملها، وكان يتولى الإشراف عليها نائبا على الجماعة، يتقيد في عمله بمقاصد الشريعة الإسلامية والتنسيق مع المحتسب في مراقبة الحرف والصنائع وحسن سيرها لتحقيق مصالح عموم المسلمين[1].

بالإضافة إلى هذه الأحكام التي قمنا بصياغتها كانت أيضا لشبكة الطرق أحكام فقهية تتحكم في شكلها حيث تميزت بتدرجها الهرمي من الدروب المسدودة إلى الأزقة والشوارع ويقابلها في تدرجها نظام مفصل من الأبواب والمداخل التي كانت، تفصل الأحياء عن بعضها وهذا ما ميز مدن المغرب الإسلامي في الفترة الوسيطية.

ثانيا: المدن التي قامت ببلاد المغرب الأدنى والأوسط.

من بين المدن التي قامت في بلاد المغرب الإسلامي إخترنا مدينة القيروان في المغرب الأدنى باعتبارها أول مركز عمراني يتم تشييده بعد الفتوحات الإسلامية، ومدينة تيهرت في المغرب الأوسط وفيما يلي سوف نعرض الأسباب والعوامل التي أدت إلى إنشاء كل منهما وهل تم إختيار مواضع ومواقع هذه المدن وفق الشروط التي حددتها الشريعة الإسلامية وكيف كان تخطيط هذه المراكز.

1- مدينة القيروان بالمغرب الأدنى:

عند دخول الفاتحين المسلمين إفريقية لم يتخذوا مدينة يستقرون فيها، وكانوا يعودون إلى مصر وبلاد الشام عند الإنتهاء من عملية الفتوح، وعندما توجه عقبة بن نافع الفهري نحو بلاد المغرب، وإستمرت فتوحاته إلى غاية 50هـ/670م، كان لابد من إيجاد معسكر

1. محمد عبد الله إسماعيل الشيخ عيد: المرجع السابق، ص ص 43-44.

لإستقرار جنوده وإستراحتهم وهذا يعتبر أهم عامل في إتخاذ عقبة بن نافع لقرار إنشاء مدينة القيروان[1].

أ/ إختيار موقعها:

كان الموضع الذي إختاره عقبة بن نافع تتوفر فيه شروط المدينة الإسلامية التي تتشابه أحوالها وصفاتها مع مدينة الفسطاط التي كان فيها، فموضعها كان متوافق إلى حد كبير مع متطلبات العرب أصحاب عقبة بن نافع حيث قال لهم "إني أرى لكم يا معشر المسلمين أن تتخذوا بها مدينة تكون عزا للإسلام إلى آخر الدهر"، فاستحسن جنوده الفكرة وتحمسوا لبناء معسكر يأويهم وقاعدة ثابتة لهم ينطلقون منها لمزاولة نشاطهم العسكري واستكمال عملية الفتوح واتفقوا على أن تكون مدينة القيروان بالقرب من البحر بقولهم "نقر بها من البحر ليتم لنا الجهاد والرباط" أي لا يفصل مركز القيادة العسكرية أي نهر أو بحر وتكون المدينة ساحلية، إلا أن عقبة قد رد عليهم "إني أخاف أن يطرقها صاحب القسطنطينية بغتة فيملكها"[2].

ما يمكن ملاحظته أن الموضع الذي اقترحته أصحاب عقبة بن نافع لم يوافق عليه خوفا من هجوم الأعداء البيزنطيين عن طريق البحر مع العلم أن المسلمين في تلك الفترة كانوا لا يملكون أسطولا بحريا ولا يتقنون فنون القتال في البحر.

بعد تشاور عقبة مع أصحابه رأى أن يحدد الموضع الذي تكون عليه مدينة القيروان بقوله: "قربوها من السبخة فإن دوابكم (الإبل) وهي التي تحمل أثقالكم، فإذا فرغنا منها، لم يكن لنا بد من الغزو والجهاد حتى يفتح الله لنا منها الأول فالأول، وتكون إبلنا على باب قصرنا في مراعيها آمنة من عادية البربر والنصارى[3].

1. موسى لقبال: **المغرب الإسلامي**، ط.2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص 28.
2. إبن عذارى: المصدر السابق، ص 19.
3. المصدر نفسه: ص 20.

بالنسبة لتحديد مكانها بالضبط يشير إليه ياقوت الحموي في قوله عن ما قاله عقبة لجنده "وقد رأيت أن أبني ها هنا مدينة يسكنها المسلمون فإستبصروا رأيه فجاءوا موضع القيروان"[1]، وفي هذا تحديد واضح لموضعها كما يبين لنا البكري مميزات موضع القيروان بقوله: "إنها في بساط من الأرض، مديد من الجوف منها بحر تونس وفي الشرق بحر سوسة والمهدية، وفي القبلة أسفاقس وقابس وأقربها منها البحر الشرقي بينها وبينه مسيرة يوم وبينها وبين الجبل مسيرة يوم وبينها وبين سواد الزيتون المعروف بالساحل مسيرة يوم، وشرقيها سبخة ملح عظيم طيب نظيف وساير جوانبها أرضون طيبة"[2].

من هنا يمكن القول أن من الأسباب التي دفعت بعقبة بن نافع لإختيار موضع القيروان هي: البعد عن الساحل حتى لا تتعرض لأساطيل البيزنطيين والقرب من البادية حتى تتماشى مع طبيعة العرب والمباشرة في نشر الإسلام بين البربر، كذلك تأمين إمدادات الجيش وحماية إبلهم.

على الرغم من أن المقدسي قد وجه نقدا لإختيار موقع القيروان من ناحية قلة الماء الموجود بها الذي يعتبر من أول ما يجب مراعاته عند إختيار مواضع ومواقع المدن كما ذكرنا سابقا في شروط إبن أبي الربيع ويعود هذا ربما إلى معيشة عقبة بن نافع وأصحابه في الصحراء وتحملهم لقلة المياه هذا ما جعلهم لا يولون أهمية كبيرة لقلته في القيروان، إلا أنه قد أثنى عليها من جهة أخرى بأنها مفخرة العرب المسلمين ويذكر في ذلك رخص الأسعار وتوفر الحاجيات الضرورية فيها وذلك لما آلت إليه في عصره أنها مركز عمراني كبير وأهم حواضر ومدن المغرب الإسلامي حيث نجده يقول: "مصر الإقليم بها عظيم حسن الإخبار جيد اللحوم قد جمع أضداد الفواكه والسهل والجبل والبحر والنعم مع علم كثير ورخص

1. شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت الحموي: **معجم البلدان**، مج.7، تح: محمد أمين الخانجي الكتبي، مطبعة السعادة، مصر، 1323هـ/1906م، ص 421.

2. البكري: المصدر السابق، ص 24.

عجيب... هي مفخرة المغرب ومركز السلطان إلا أن ماءها ضعيف، الماء مخزون في مواجيل والضرائب موضوعه على أصحاب الدكاكين"[1].

وبعد أن إستقر رأي عقبة ومن معه على بناء القيروان وتحديد موقعها شرع في التمهيد لتخطيط المدينة بإزالة الأشجار التي كانت موجودة فيها وتهيئتها لإقامة المباني فيها وتعميرها إذا ما إنتهوا من ذلك ويقول إبن الأثير عن الأشجار التي كانت مكانها قبل بنائها وما كان يسكن فيها من الحيوان والحيات بأنها: "كانت دجلة مشتبكة بها من أنواع الحيوان من السباع والحيات وغير ذلك"[2].

ب/ تخطيط مدينة القيروان: بعد الإنتهاء من قطع الأشجار وتهيئة المكان شرع عقبة في تخطيط المدينة وكان يحدد شوارعها ومصالحها وأهم شيء هو ما يحقق الهدف من قيامها وهو المسجد ثم دار الإمارة وبعد ذلك المساكن والدور التي سيستقر فيها الجنود وأسرهم والأسواق لقضاء مصالحهم[3].

- **المسجد الجامع:** يذكر المؤرخون أنه عندما تم تخطيط المسجد لم يحدث فيه بناء وإنما كان يصلى فيه بدون بناء مما جعل الناس يختلفون في تحديد القبلة، وقد تحدث عن هذا إبن عذارى في قوله: "أن عقبة أتى إلى موضع المسجد الأعظم فاختطه ولم يحدث فيه بناء وكان يصلي فيه وهو كذلك، فإختلف الناس عليه في القبلة **(الملحق 05)**، وقالوا: أن جميع أهل المغرب يضعون قبلتهم على قبلة هذا المسجد، فأجهد نفسك في تقويمها، فأقاموا أياما

1. المقدسي: المصدر السابق، ص 224.

2. أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني المعروف بإبن الأثير (ت630هـ/1232م): **الكامل في التاريخ**، ج.3، تح: أبي الفداء عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1408هـ/1987م، ص 320.

3. محمد محمد زيتون: **القيروان ودورها في الحضارة الإسلامية**، دار المنار، القاهرة، 1408هـ/1988م، ص 78.

ينظرون إلى مطالع الشتاء والصيف من النجوم ومشارق الشمس فلما رأى أمرهم قد إختلفت باب مغموما"[1].

حسب هذه الرواية ورواية الدباغ[2]، أنه قد أتاه آت في منامه وحدد له موضع القبلة ولما أعلن للناس عنها وقال هذا محرابكم إقتدى به سائر الناس في تخطيط مساجد المدينة وسواء صحت هذه الرؤية أو لم تصح إلا أنها أنهت الخلاف وتم تحديد القبلة وإزالة اللبس.

ما يمكن قوله أن عقبة بن نافع عند تخطيطه لمسجد القيروان إختار له موضعا وسط المدينة وعمل جاهدا على الحرص أن يتوافق مع مظاهر العمارة الإسلامية وشروط إقامة المدن وإزالة اللبس الذي كان حول قبلة المسجد لأنه أول مسجد جامع يقام في بلاد المغرب الإسلامي وإستمر هذا المسجد طويلا مع إضافة بعض التعديلات له التي تتماشى مع تطورات العصر وفن عمارة المساجد.

- **دار الإمارة:** إختط عقبة بن نافع دار للإمارة جنوب المسجد لتكون مقرا للولاية والتي بنيت من اللبن والطين. وكان إختطاطها بعد بناء المسجد الجامع يقول في هذا ياقوت الحموي "ثم إختط دار للإمارة وإختط الناس حوله"[3].

إستمرت دار الإمارة هذه إلى غاية 184هـ/800م وأصبحت مقر للولاة الأمويين والعباسيين إلى أن تحولت في عهد إبراهيم بن الأغلب الذي إختط لنفسه مدينة أطلق عليها إسم القصر القديم بجانب القيروان وبعد أن إنتقل عنها إلى رقادة، بقيت دار الإمارة خاصة بالدواوين التي تعددت في القيروان منها: (ديوان الجند- ديوان الخراج- ديوان الرسائل...)

1. إبن عذارى: المصدر السابق، ص 20.

2. أبو زيد عبد الرحمان إبن محمد بن عبد الله الأنصاري الدباغ(ت690هـ/1291م): **معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان**، ج.1، تح: أبو الفضل أبو القاسم بن عيسى ناجي التنوخي، مكتبة الخانجي، مصر، 1968، ص 11.

3. ياقوت الحموي: **معجم البلدان**، مج.7، المصدر السابق، 194.

كما كانت هناك دار لضرب النقود وتعديل الأوزان وضبطها بالإضافة إلى هذه المنشآت الإدارية كانت هناك دار للضيافة يتم فيها إستقبال المبعوثين والرسل من الدول الأخرى[1].

- **الأسواق:** كثرت الأسواق في القيروان في العصر الوسيط فكان السوق من بين المرافق التي يجب أن تحظى بأهمية في مدينة القيروان، وقد ارتبط سوق القيروان الكبير (السمّاط) أنه يبدأ من المسجد الى باب الربيع ومن المسجد إلى باب تونس ما يدل على أن عقبة بن نافع قد راع أثناء تخطيطه للمدينة أهمية السوق و التجارة و الصناعة[2].

يصف لنا البكري سوق القيروان ومدى سعته من تخطيط المدينة فيقول: "كان سماط سوق القيروان قبل نقله إلى المنصورية متصلا من القبلة الى الجوف طوله من باب أبي الربيع إلى الجامع ميلان غير ثلث، ومن الجامع إلى باب تونس ثلثا ميل، وكان سطحا متصلا فيه جميع المتاجر والصناعات"[3].

كانت تؤثر أسواق القيروان من حيث تعددها و تنوع إختصاصاتها في تنظيم أسواق المدن ألأخرى وكانت تتخذ كنموذج في تطبيق قواعد الحسبة إلى جانب التنظيم، وكان الوالي يزيد بن حاتم (155-171هـ/772-787م) هو من رتب أسواق القيروان وجعل كل صناعة في مكانها[4].

إلى جانب هذا كانت تسمى أسواق القيروان بأسماء إختصاصاتها التجارية و منها ما نسب إلى بعض الفئات الإجتماعية مثل: سوق الصيارفة والذي كانت تتم فيه المعاملات

1. محمد محمد زيتون: المرجع السابق، ص ص 89-90.
2. المرجع نفسه، ص 93.
3. البكري: المصدر السابق، ص25-26.
4. الحبيب الجنحاني: **القيروان عبر عصور إزدهار الحضارة الإسلامية في المغرب العربي**، الدار التونسية للنشر، تونس، 1968، ص 112.

المالية، وسوق الجوهريين، سوق البركة الذي يعرض فيه الرقيق والجواري وسوق الغزل، وما نسب إلى الأشخاص كسوق إسماعيل تاجر الله وسوق إبن هاشم وسوق اليهود[1].

- **الأسوار والحصون:** لما كانت الأسوار ذات شأن مهم بالنسبة للدفاع عن المدن الاسلامية لابد من التحدث عن أسوار مدينة القيروان التي أقيمت حولها، وقد تحدث عنها البكري cبالتفصيل حين بين أن محمد بن الأشعث هو من أقام سور للمدينة وجعل فيه الأبواب وعليه المحارس يقول عنها: "للقيروان من القديم سبع محارس أربعة خارجها وثلاثة داخلها وكان للقيروان في القديم سور طوب سعته عشرة أذرع بناه محمد بن الأشعث بن عقبة الخزاعي سنة أربعة وأربعين ومائة... وكان في قبليه باب سوى الأربعة وهو بين القبلة والمغرب، وبين القبلة و المشرق باب أبي الربيع، وفي شرقيه باب عبدالله، وباب نافع وفي جوفيه باب تونس وفي غربيه باب أصرم وباب سلم... وللمدينة اليوم أربعة عشر بابا منها المذكورة وباب النخيل والباب الحديث وللفيصل بابان وباب الطراز وباب القلالين وباب سحنون"[2].

بالإضافة إلى أن المدينة كانت محصنة من الداخل والخارج لأنها كانت تنقسم من الداخل إلى أرباض آهلة وحارات وشوارع وأزقة وأسواق عامرة إلى جانب هذه المظاهر العمرانية، عرفت المدينة تقدما عمرانيا مكنها من القضاء على مشكلة ندرة المياه التي كانت تعاني منها بداية تأسيسها، فأقيمت المواجل في كل دار لتخزين المياه حيث روى المقدسي أن المعز بن باديس أجرى قناة من الجبل تملأ المواجل بعدما تدخل قصرها بصبرة[3].

1. الدباغ: **معالم الإيمان**، ج2، المصدر السايق، ص 343.
2. البكري: المصدر السابق، ص ص 24-25.
3. المقدسي: المصدر السابق ، ص 225.

وكانت بالمدينة حمامات كثيرة و مرافق أخرى كالمتنزهات التي أقيمت في المدن القريبة من القيروان فكان بها متنزه يدعى الرصافة، ومستشفيات أقيمت خارجها فهناك مستشفى الدمنة الذي يقسم على قسمين أحدهما للمرضى وآخر خاص بالفقراء[1].

1. مدينة تيهرت بالمغرب الأوسط:

هناك إختلاف في تحديد تاريخ بنائها، منهم من يقول في 144هـ/761م، وهذا الرأي ضعيف لأن عبد الرحمان بن رستم قد حاصر مدينة طبنة سنة 154هـ/771م، ثم عاد لإقليم تيهرت، وفي نفس السنة إنهزم الإباضيون في طرابلس، وقتل إمامهم حاتم الملزوزي حينها فكروا في بناء مدينة لهم فالتفوا حول عبد الرحمن بن رستم[2].

ولأن الفترة ما بين 140-160هـ/757-777م، كانت فترة حروب بين الإباضيين والعباسيين وبهذا يكون تاريخ بناء المدينة 160هـ/777م.

أ/ خصائص موقعها:

أجمعت المصادر على تحديد الخصائص التي ميزت الموقع الجغرافي لمدينة تيهرت وهي[3]: وفرة المياه حيث تشرف على أنهار وعيون وفيرة ومتنوعة، منها وادي ميناس ووادي تاتش في شرقها والذي تنبع منه عيون كثيرة، فالوديان والعيون حسب مؤرخي البلدان هي مصدر لتزويد سكان المدينة بماء الشرب، وسقي الأراضي الزراعية، كذلك خصوبة أرضها وطيبها، وجودة محاصيلها الزراعية، حيث أكدت على هذا المصادر التاريخية والجغرافية، يقول البكري: "وفيها جميع الثمار وسفرجلها يفوق سفرجل الآفاق حسنا وطعما وشما

1. محمد محمد زيتون: المرجع السابق، ص 96.
2. البكري: المصدر السابق، ص 66.
3. أنظر: البكري: المصدر السابق، ص 66، المقدسي: المصدر السابق، ص 228، اليعقوبي: المصدر السابق، ص149.

وسفرجلها يسمى بالفارس"[1]، تميز مناخ المدينة بالسيرورة ووفرة الأمطار ويتسم بالبرودة وضباب كثيف في الشتاء، وجو معتدل في الصيف ونجد اليعقوبي يصف مناخها قائلا: "أنها تمتاز بالبرد الشديد وفيها رياح قوية والشمس توقد وتحرق"[2]، ويقول عنه القزويني: "...فيها كثرة الأمطار والأنداء والضباب وشدة البرد قلما ترى الشمس بها"[3].

كذلك وفرة المراعي والإحتطاب بالمدينة تعود إلى جمعها بين خاصيتين أساسيتين في ذلك هما أنها تقع على هضبة تلية كما ذكرنا من قبل، وإشرافها على الصحراء مما ساعد على وجود مراكز رعوية مقترنة بطبيعة الصحاري، كما تمتعت بحماية منيعة طبيعية لأنها تتوسط المراكز العمرانية في المغرب الإسلامي، حيث أن بينها وبين القيروان إثنان وثلاثين مرحلة، وبينها وبين فاس خمسون مرحلة، ومع سلجماسة أيضا نحو خمسون مرحلة، وهي منطقة داخلية، بعيدة عن التوتر السياسي الحاصل في المنطقة، وبعيدة عن الخطر البيزنطي في الساحل الشمالي والخطر العباسي من الشرق[4]، وتتوسط القبائل البربرية من الشرق لواطة وهوارة وبغربها: زواغة، وبوسطها مطاطة وزناتة ومكناسة[5].

1. البكري: المصدر السابق، ص67.
2. اليعقوبي: المصدر السابق، ص109.
3. القزويني: المصدر السابق، ص169.
4. أنظر: مؤلف مجهول: **الإستبصار في عجائب الأمصار**(ق6هـ)، تع: سعد زغلول عبد الحميد، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، 1985، ص 178؛ اليعقوبي: المصدر السابق، ص 140، البكري: المصدر السابق، ص 66، الحميري: المصدر السابق، ص 121.
5. أنظر: عيسى الحريري: **الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي (حضارتها وعلاقتها الخارجية بالمغرب والأندلس 160-296هـ)**، ط.3، دار القلم، الكويت، 1408هـ/1987م، ص 86؛ جورج مارسية، **بلاد المغرب وعلاقتها بالمشرق الإسلامي**، تر: مجمود عبد الصمد، مر: مصطفى أبو ضيف أحمد، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1999م، ص 121.

ب/ تخطيطها:

لما تمت تنقية الأشجار التي كانت بموضع تيهرت وأصبحت صالحة للعمارة قام الرستميون بإختيار أربعة مواضع لتجري عليها عملية القرعة لبناء مسجد المدينة، فجاءت في المكان الذي قاموا بتنقيته من الأشجار، فشرعوا في بنائه وإختطوا للمنطقة، بيوتا وقصورا، وأسواقا ومساجد، ومرافق عامة، يحيط بالكل سور محكم، وتفننوا في عمارتها وتنظيمها، وأصبحت كما وصفها المؤرخون أنها عراق المغرب وأنها **بلخ**[1]، لِما كان بها من معالم للحضارة الإسلامية ورواج المعارف والعلوم بها والتجارة الواسعة.

بعد أن توفرت بمدينة تيهرت جميع الخصائص والشروط التي يجب توفرها في عمارة المدن الإسلامية بدأ عبد الرحمن إبن رستم وأصحابه في تخطيطها العمراني والذي طبقت فيه أحكام الشرعة الإسلامية والعمارة الإسلامية كذلك، وكانت على ثلاثة أنماط النمط الديني، والنمط المدني، والنمط العسكري.

– **النمط الديني:** أول ما تم تشييده هو المسجد الجامع والذي تم إختيار موقعه عن طريق القرعة فوقعت على المكان الذي إختطوه لصلاتهم حين وصولهم المنطقة يشير إبن حوقل عند حديثه عن مسجدها في قوله: "تيهرت مدينتان كبيرتان إحداهما قديمة والأخرى محدثة والقديمة ذات سور وبها جامع وفي المحدثة أيضا جامع"[2]، وهذا يدل على أنه حتى عندما شيدوا المدينة المحدثة كانوا قد إختطوا بها مسجدا جامع.

ويذكر المقدسي هذا أيضا عند قوله: "تاهرت إسم لقصبة... لها جامعان عن ثلثي البلد قد بني بالحجارة والجير"[3]، ربما يقصد الجامعان الذين ذكرهما إبن حوقل واحد بالمدينة

1. **بلخ:** من أجمل مدن خرسان وأكثرها خيرا وأوسعها غلة وتحمل غلتها إلى جميع خرسان وخوارزم نسب إليها جماعة من العلماء الأجلاء والفضلاء، أنظر: الحموي: ج.1. المصدر السابق، ص479.
2. إبن حوقل: المصدر السابق، ص78.
3. إبن عذارى: المصدر السابق، ص196.

القديمة والثاني بالمدينة المحدثة، ويقول صاحب البيان المغرب أيضا: "فنزلوا بموضع تيهرت، وهي غيضة بين ثلاثة أنهار، فبنوا مسجدا من أربع بلاطات وإختط الناس مساكنهم"، وقد إستخدموا مواد بسيطة تدل على فقر الدولة عند بداية قيامها، وسياسة عبد الرحمن التي كانت تدل على التواضع والتقشف، فقد ذكر البكري أنهم بنو مسجدا وقطعوا خشبة من تلك الشعراء، وعن تخطيطه يقول أنه ظل على حاله[1].

لقد شملت العمارة الدينية إلى جانب المساجد والجوامع، المدارس التي كانت عادة ما تبنى خارج المسجد، وقد تأخر ظهورها في بلاد المغرب الإسلامي لهذا لم تذكرها المصادر التاريخية على أنها كانت موجودة بتيهرت خاصة وأن مدلولها كان يختلف عن المراكز التعليمية والدينية السابقة لها، حيث كانت تختص به المساجد والكتاتيب والرباطات بالجانب التعليمي إلى جانب العمارة الدينية وجدت العمارة الجنائزية في تيهرت مثل المقابر والمدافن، خاصة وأن المدينة كانت منفتحة على جميع المذاهب والأديان[2].

- **النمط المدني:** بعد الإنتهاء من تخطيط المسجد الجامع بتيهرت كان لابد من الشروع في عملية تخطيط المرافق العامة من بيوت وقصور وأسواق وحمامات، وتميزت تيهرت بوجود الخانات والفنادق خاصة بعدما تطورت وإزدهرت وأصبحت من أهم المحطات التجارية ببلاد المغرب الإسلامي ومن بين هذه المنشآت العمرانية المدنية نجد قصبة المدينة التي ذكرها المقدسي ذلك في قوله: "تاهرت هي إسم لقصبة، وهي بلخ المغرب"[3]، كما ذكرها صاحب الإستبصار إلى جانب السور حينما قال: "مدينة تاهرت مدينة مشهورة قديمة كبيرة عليها سور ولها قصبة منيعة"[4].

1. البكري: المصدر السابق، ص 66.
2. فطيمة مطهري: المرجع السابق، ص 199.
3. المقدسي: المصدر السابق، ص 229.
4. مؤلف مجهول: **الإستبصار**: المصدر السابق، ص 178.

وقد كانت لهذه القصبات أبواب والتي ربما تكون تلك التي أشار إليها القلقشندي والبكري وتحديدهم لهذه الأبواب يقول القلقشندي: "وتاهرت... لها ثلاثة أبواب: باب الصفا وهو باب الأندلس وباب النازل وباب المطاحن"[1]، إلا أن البكري يفصل باب الصفا وحده وباب الأندلس وحده في قوله: "مدينة تاهرت لها أربعة أبواب: باب الصفا وباب النازل وباب الأندلس وباب المطاحن"[2].

بالإضافة إلى المنازل والبيوت التي كانت تربط بينها أزقة وشوارع تؤدي إلى الأسواق والشوارع الرئيسية، وأبواب المدينة، وكان المنزل التيهرتي يتكون من عدة حجرات وأبواب المنازل تكون من خشب وذكر إبن حوقل: "أن لسكان تيهرت مياه كثيرة تدخل على أكثر دورهم"[3].

كما عرفت تيهرت أيضا عمارة المرافق الأخرى الضرورية كالفنادق والخانات، إلى جانب المسجد والسوق، والدور وذلك لتتماشى مع التطور والنمو الإقتصادي والإجتماعي الذي عرفته الدولة الرستمية لأن القوافل التجارية كانت تمر بها آتية من المشرق نحو المغرب وبلاد السودان الغربي، فكان لابد من تشييدها لإقامة التجار ونحوي أيضا مخازن لسلعهم[4].

بالنسبة للأسواق فكثرت بالمدينة حيث يذكر البكري: "وبها أسواق عامرة"[5]، وكانت الأسواق قريبة من المساجد حالها من حال المدن الإسلامية الأخرى، وبلغت درجة أنها

1. أبي العباس أحمد القلقشندي(ت821هـ/1418م)، **صبح الأعشى**، ج.5، المطبعة الأميرية، القاهرة، 1915، ص 111.
2. البكري: المصدر السابق، ص 66.
3. إبن حوقل: المصدر السابق، ص 120.
4. فطيمة مطهري: المرجع السابق، ص 207.
5. البكري: المصدر السابق، ص 67.

أصبحت لكل حي سوق خاص كما أنها أصبحت تحمل أسماء الأشخاص في كثير من الأحيان، ويقول عنها الإدريسي: "هي مدينة صغيرة القدر فيها أسواق مشهورة لها يوم معلوم"[1].

- **النمط العسكري:** شمل هذا النمط من العمران الأسوار والأبراج والقلاع والحصون وفي مدينة تيهرت كانت هذه العمارة لتحصينها من الغارات وتأمينها، لأنها كانت العاصمة السياسية والإدارية للدولة الرستمية في المغرب الأوسط، وعلى الرغم من أهلها إمتازوا بالسلم والمسالمة مع الدول الأخرى التي جاورتهم ومع بقية الأديان والمذاهب إلا أنه كان لابد من تحصينها بسور يعزز حمايتها، وقد كان سورها من حجر[2].

وقد أشار إبن حوقل إلى السور الموجود في المدينة القديمة دون أن يذكر أن للمدينة المحدثة سور يحميها في قوله: "وتاهرت مدينتان كبيرتان إحداهما قديمة أزلية والأخرى محدثة، والقديمة ذات سور..."[3]، لاشك أن للمدينة كانت فعلا محاطة بأسوار وذلك لوجود الأبواب بها وما يؤكد هذا القول البكري حينما قال: "مدينة تيهرت مسورة ولها أربعة أبواب"[4].

وقد ذكرنا هذه الأبواب سابقا، كما نجد صاحب الإستبصار قد أورد سور المدينة في وصفه لها في قوله: "مدينة تاهرت وهي مدينة مشهورة قديمة كبيرة عليها سور صخر"[5] وهو هنا يقصد سور المدينة القديمة دون أن يذكر أن للمدينة الحديثة سور، أما الحصون

1. أبي عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحمودي المعروف بالشريف الادريسي(ق6 ه): **نزهة المشتاق في إختراق الآفاق**، مج.1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1422ه/2002م، ص 250.
2. فطيمة مطهري: المرجع السابق، ص 212.
3. إبن حوقل: المصدر السابق، ص 86.
4. البكري: المصدر السابق، ص 66.
5. مؤلف مجهول: **الإستبصار**، المصدر السابق، ص 178.

والقلاع، فقد إنتشرت في مدينة تيهرت تذكر من بين هذه الحصون: إسكدال، تسلونت، تالغمت، وحصن برقجانة، وعن القلاع كانت هناك **قلعة مغيلة دلول**[1]، وقلعة نفوسة.

وتعتبر مدينة تيهرت أقدم مركز ثقافي في بلاد المغرب الأوسط، الوجود مكتبتها العظيمة "المعصومة" التي تضم نحو ثلاث مائة ألف كتاب في مختلف الفنون والعلوم والآداب وكانت تحوي مؤلفات في الشريعة والتفسير والحديث والفقه والتوحيد، وكتب أيضا في الطب واللغة والرياضيات والهندسة والفلك والتاريخ وغيرها، كما أنها كانت تضم مؤلفات في مختلف المذاهب الإسلامية[2].

نستنتج مما سبق أن تيهرت كانت منطقة داخلية بعيدة عن نفوذ العباسيين، وتقع في المسالك التجارية لإشرافها على الطرق مثل الطريق الذي يربط بين فاس والقيروان ويمر بها والطرق التي تربطها بموانئ البحر المتوسط والمناطق الداخلية، تقع فوق هضبة على مستوى سطح البحر لمراقبة المناطق المجاورة لها، وجود ثروة مائية بالقرب منها لتنمية مزروعاتها وإقامة المشاريع العمرانية حولها، وجود أراضي خصبة مجاورة لها غنية بالمراعي والكلأ، وقد عرفت المدينة حركة عمرانية تمثلت في بناء القصور والمنازل بنيت على نمط الحواضر الإسلامية الكبرى وكانت محاطة بسور، ما ميزها عن غيرها إنعدام وجود دار للإمارة بجانب المسجد في بداية عهد الرستميين.

ثالثا: أسباب خراب المدن ببلاد المغرب الإسلامي:

عرفت المراكز العمرانية مرحلة إنتشار وإزدهار في المغرب الإسلامي وتعددت هذه المدن بمختلف الأحجام والوظائف، وقد حدد إبن الأزرق أن من أسباب العمارة وإنتشارها

1. **قلعة مغيلة دلول:** بينها وبين مدينة مستغانم مسيرة يومين وهي قلعة على جبل منيف شديد الحصانة وبها عين ماء من أشهر قلاع مدينة تيهرت، أنظر: الحميري: المصدر السابق، ص 470.

2. سليمان باشا الباروني: **الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الاباضية**، مر: محمد علي الصليبي، دار الحكمة، لندن، 2005م، ص ص52-53.

أهمية العدل في حفظها فلا جباية إلّا بعمارة ولا عمارة إلا بعدل"، فإن العدل والإنصاف والابتعاد عن الظلم هو سبب العمران[1]، وإذا كان السلطان جائرا غربت المدن والأقاليم فبعض من المراكز العمرانية تعرضت للخراب والدمار والهدم والحرق ومنها ما أزيل تماما، وقد تعددت الأسباب التي أدت إلى خراب وإضمحلال هذه المدن، حيث يرى إبن خلدون أن من بين أسباب خراب المدن ما يلي[2]:

- أن للعمران عمر محسوس ثم يأخذ بعده بالإنحطاط وكذلك حال بعض المدن.
- أن الترف والنعيم وكثرتها يؤديان إلى تحولات تقود إلى خراب المدن واندثارها.
- جور السلطان أو الحكام، فإذا انتقض السلطان ينتقض العمران ويؤدي إلى الخراب.
- التناوب على السلطة وانتقالها من ملك لآخر، ما يجعله يهمل مدينة الأول ويبني مدينة جديدة فتخرب الأولى بطبيعة الحال.
- كذلك العامل الإقتصادي الذي عندما يفسد نظامه تنهار المدن إقتصاديا ويعم الخراب فيها.
- أن للسكان دورا في هرم المدن وخرابها فبذلك يتراجع العمران ويتناقض السكان، يقول إبن الأزرق: أن الظلم هو سبب الخراب ويتم إما بالتسلط على السكان أو في إغتصاب ونهب أموالهم وأعراضهم[3]، في حين يرى المقدسي أن هناك أسبابا أخرى أدت إلى خراب المدن ومنها[4]:
- إهمال دور الري والزراعة وخدمة الأرض.

1. إبن الأزرق: المصدر السابق، ص 120.
2. إبن خلدون: **المقدمة**، المصدر السابق، ص ص 170-174.
3. إبن الأزرق: المصدر السابق، ص 229.
4. المقدسي: المصدر السابق، ص 426.

– كثرة الفتن والحروب والعصبيات والتي كثرت في المغرب الإسلامي خاصة بعد قيام الدويلات المستقلة وإنتشار المذاهب وتعددها، بالإضافة إلى سبب آخر وهو إنتقال مركز الدولة من مدينة إلى أخرى وضعف الولاة وسوء إدارة جهاز الحكم.

وقد أوردت المصادر التاريخية أسبابا عدة، يمكن تحديد أسباب خراب المراكز العمرانية ببلاد المغرب الإسلامي والتي تنوعت وتعددت من أسباب سياسية، وأخرى دينية مذهبية، وأسباب بشرية وطبيعية تمثلت في الكوارث الطبيعية من زلازل وفيضانات أغبرت على المدن.

1– الأسباب السياسية:

لقد أثر إستقرار الأوضاع السياسية أو إضطرابها على عمران المدن وهذا يتطلب دراسة تاريخ كل مدينة من المراكز العمرانية الإسلامية وتقديم العامل السياسي ليس بالضروري أن كل المدن التي خربت كان وراء ذلك العامل السياسي بالدرجة الأولى، فالمدينة تمر بأحوال وتحولات وتطورات من وقت لآخر، مع تغيير في جهاز حكمها خاصة، ولهذا سنختار بعض الأمثلة من المدن في المغرب الإسلامي[1].

لدينا مدينة القيروان أكبر مدن المغرب الإسلامي التي مرت بظروف صعبة وبدأت تواجه التحديات السياسية منذ نهاية القرن الثاني هجري/ الثامن ميلادي، ومن تلك التحديات والإضطرابات إنشاء المدن المجاورة لها، كالقصر والعباسية ورقادة و**صبرة**[2]، والمهدية التي أثرت على أهمية ومكانة القيروان وقللت منها ففقدت بذلك إزدهارها السياسي، كما تعرضت

1. طه عبيد خضر: المرجع السابق، ص341.

2. **صبرة:** مدينة بالقيروان بناها إسماعيل العبيدي وسماها المنصورية سنة 373هـ/983م، كان لها فوائد كثيرة، وهي منزل الولاة إلى حين خرابها، نقل إليها سعد بن إسماعيل أسواق القيروان كلها، وجميع الصناعات، لها خمسة أبواب: الباب القبلي والباب الشرقي وباب زويلة، وباب كتامة، وباب الفتوح، وكان بها وقت عمرانها ثلاثمائة حمام وهي الآن خراب لا ساكن بها وعلى بعد ثلاثة أميال منها قصور رقادة؛ أنظر: الحميري: المصدر السابق، ص 354.

المدينة لهجوم قبائل **بنو هلال**[1] و**بنو سليم**[2] القادمين من مصر وبتشجيع من الفاطميين فلما دخل عبيد الله الشيعي المدينة أمر أن تقلع من على المساجد والمراجل، والقصور والقناطر أسماء الذين بنوها وكتب عليها اسمه، وأظهر التشييع، وسبب أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، والطعن في أزواجه وزعم أن أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم قد إرتدّوا، ومنع الفقهاء أن يفتوا بغير مذهبه[3].

2- الأسباب الدينية:

مع نهاية القرن الثالث هجري/ العاشر ميلادي أي على عهد الأغالبة في المغرب الأدنى وبنور رستم في المغرب الأوسط، كان وصول الشيعة لبلاد المغرب ليجد أبي عبيد الله الشيعي أرضا خصبة لنشر مذهبه مثلتها ضعف الأسر الحاكمة في تلك الفترة ليبدأ في حملاته التوسعية إنطلاقا من إيكجان حيث كان قد نزل في منطقة فج الأخيار[4]. ثم إنتقل إلى حصن تازروت قرب مدينة ميلة حاليا، وباشر توسيع أعماله التخريبية وهذا وإن دل على شيء فهو يدل على التطور العسكري للشيعة في المغرب الإسلامي، حيث قام بإخضاع

1. **بنو هلال:** يمتد نسبهم إلى بني هلال بن عامر بن صعصعة بن معاوية ين بلد بن هارون بن منصور بن عكرمة بن حفصة بن قيس بن عيلان بن مضر، ويقول إبن خلدون: هم قبيلة بدوية من عرب مضر، كانت تجول صحراء الحجاز ثم إستقروا غرب الطائف، وكانوا يطوفون رحلة الشتاء والصيف أطراف العراق والشام، ويقومون بالإغارة على الضواحي والنواحي ويفسدون السابلة. ومن أشهر بطون بني هلال: زغبة، وربيعة ورياح والأثبج وهم أكثرها عددا؛ أنظر: علي بن حزم: **جمهرة أنساب العرب**، مر: عبد المنعم خليل إبراهيم، ط.4، دار الكتب العلمية، بيروت، 2004، ص 273؛ إبن خلدون: **العبر**،ج.6، المصدر السابق، ص 94؛ للمزيد عن بطون بني هلال أنظر: ص ص 54،37،30.

2. **بنو سليم:** إحدى البطون العربية من مضر، نسبهم حسب المؤرخ ابن خلدون يعود إلى بني سليم بن منصور بن عكرمة بن حفصة بن قيس بن عيلان بن مضر: لا يختلفون في طباعهم عن قبائل بني هلال في الإغارة، منها على الحجاج أيام الحج بالمدينة؛ أنظر: إبن خلدون: **العبر**، ج.6، المصدر السابق، ص 18.

3. أبن عذاري: المصدر السابق، ص 159.

4. بوقاعدة البشير: **الصراع العسكري وخراب المدن بالمغرب الأوسط والأدنى بين296هـ/909م-547هـ/1152م دراسة تاريخية**، ميم للنشر، الجزائر، 2015، ص 38.

مدينة ميلة ومنح أهلها الأمان حتى تمكن من دخولها وإحراقها وتهديم ما بها من منشآت عمرانية وكان ذلك حسب إبن عذارى سنة 289هـ/902م، ويضيف أن أبو عبد الله الأحول قد انتقل في نفس السنة لمدينة طبنة لمواجهة المد الشيعي[1].

بعد إخضاع مدينة طبنة (بريكة حاليا) التي كانت تعتبر القاعدة الخلفية للدولة الأغلبية وقد وجد فيها الشيعة صعوبة كبيرة جدا، ولم يتمكنوا من إخضاعها إلّا بعد شن حصار عليها من كل الجهات وهدم أسوارها وضمها بعد ذلك إلى قائمة المدن التي أخضعها ثم تمكن من **مدينة بلزمة**[2] (مروانة حاليا). كما تمكن الداعي أيضا أبو عبد الله الشيعي في نفس السنة من **دار ملول**[3] ثم مدينة باغاي، ثم **مجانة**[4].

ثم توالت أعمال التخريب التي طالت بقية مدن بلاد المغرب ما أدى إلى مواجهة أخرى بين الشيعة والأغالبة سنة 296هـ/909م فيها يعرف بوقعه الأربس التي تفوق فيها الشيعة وهرب زيادة الله إلى المشرق يذكر إبن خلدون عن هذه الموقعة أنه زحف "سنة ست وتسعين، في مائتي ألف من العساكر إلى إبراهيم بن أبي الأغلب بالأربس، ثم إقتتلوا أياما ثم إنهزم إبراهيم وأستبيح معسكره"[5]، وهروب زيادة الله مكّن الشيعة من الإستلاء على رقادة

1. إبن عذارى: المصدر السابق، ص 133.

2. **بلزمة:** مدينة رومانية قديمة تقع على الطريق بين القيروان والزاب وهي حصن في بساط من الأرض كثير المزارع والقرى وهي مدينة كثيرة الأنهار، أنظر: الإدريسي: المصدر السابق، ص 207، والبكري: المصدر السابق، ص 170.

3. **دار ملول:** مدينة عامرة تقع على بعد مرحلة من طبنة وعلى ثلاثة مراحل من نقاوس (بين نقاوس وبريكة حاليا) لم تحافظ على إزدهارها طويلا في العصر الوسيط إذ سرعان ما خربت، أنظر: الإدريسي: المصدر السابق، ص 264.

4. **مجانة:** هي مدينة قديمة صغيرة يحيط بها سور، وكانت غنية بالزروع والمياه إشتهرت بثورتها المعدنية (حديد، فضة...) (ونزة حاليا)، أنظر: البكري: المصدر السابق، ص 227، الإدريسي: المصدر السابق، ص 293.

5. إبن خلدون: **العبر**، ج.4، المصدر السابق، ص46.

ووضع أسس الدولة الشيعة وختام الكيان السياسي لهم ببلاد المغرب، وفتح المجال أمام عبيد الله المهدي لدخول بلاد المغرب[1].

كان لقيام الدولة الفاطمية في بلاد المغرب أثر على العمران إيجابيا في بعض الأحيان بتشييدهم لمدينة إيكجان كتامة والتي كان لها الدور الفعال في نشر دعوتهم وتأسيس دولتهم بالمغرب الإسلامي، بالإضافة إلى مدينة المهدية التي أعتبرت من أهم ما قام به بنو عبيد من عمران في المغرب حيث كانت حصنا منيعا لهم في فترة الإضطرابات التي عرفتها المنطقة كذلك تشيد مدينة لمسيلة ولم تكن الغاية من تشييدها هي التحصين من مختلف الأخطار الخارجية والداخلية بإقامتهم للأبواب، المرتفعة والأسوار، بل كان الهدف من هذا أيضا جباية الأموال، إقامة مراصد على الطرق التجارية وبناء مخازن لتموين الدولة[2].

من هنا نصل إلى القول بأن تشييد الشيعة إلى بعض المدن في بلاد المغرب كان من أجل إقامة قاعدة لهم بقلب المغرب الأوسط، ومركزا لجيوشهم التي تحميهم بعيدا عن مركز الخلافة، نجدهم في المقابل قد ساهموا بحملاتهم في تخريب عديد المدن في إطار مواجهتهم للثائرين وإخماد ثوراتهم كمدينة تيهرت التي خربت وأحرقت مكتبتها (المعصومة)، ورجلان وسدراتة التي لم يبقى منها الآن إلا آثار.

في ظل الحملات الشيعية التي قامت بتخريب المراكز العمرانية ببلاد المغرب الإسلامي، تخريبهم لمدينة تيهرت، وما جعلهم يخربونها هو ضعف أئمتها ضف إلى ذلك الخلافات السياسية على الحكم للدولة الرستمية والإنحرافات المذهبية التي طالت المذهب الإباضي، كما نجد أن ظروف الدولة لم تكن مستقرة في آخر عهد حكامها اليقضان بن أبي

1. إبن عذارى: المصدر السابق، ص147.

2. بوقاعدة البشير: المرجع السابق، ص 48.

اليقضان (294-296هـ/906-908م) شجع الشيعة على الإستيلاء عليها وإخضاعها وحرق مكتبتها المعصومة التي خربت ودمرت بالكامل وأحرق ما فيها من مؤلفات[1].

هناك أيضا عامل آخر أدى إلى تخريب مدينة تيهرت وهو الصراع الزناتي الشيعي سنة 305هـ/917م، تمكن قائد الشيعة مصالة بن حبوس المكناسي، قد تمكن من إفتتاح مدينة نكور ونهبها وقتل رئيسها، ثم قصد فاس وهزم أميرها، ثم عاد إلى تيهرت وكتب بالفتح إلى عبيد الله هذا وقد أضرم الزناتيون النيران في أسواق تيهرت في فترة فتح مصالة بن حبوس لنكور وفاس[2].

وفي 312هـ/925م، تواصلت الإضطرابات في مدينة تيهرت في إطار مساندة العنصر الأموي الأندلسي للزناتيين ضد الشيعة، وأيضا في سنة 334-335هـ/945-946م، في إطار مواجهة المنصور بن إسماعيل لأبي يزيد النكاري حيث تم تخريب المدينة وحرق منبرها وطال التخريب أيضا حرمة المقابر بالإعتداء على الأموات وحرق عظامها[3].

3- الأسباب البشرية والطبيعية:

كما أن هناك بعض المدن في بلاد المغرب الإسلامي أدت الكوارث الطبيعية من فيضانات وزلازل وظاهرة الجراد إلى إنهيارها وأصبحت بعد ذلك مدن بائدة، فلدينا تنس في المغرب الإسلامي قرب وهران والتي أدت الفياضانات إلى خرابها وغمرتها مياه البحر لقربها منها، كما تعرضت المدن التي قامت بالقرب من الأنهار إلى الفيضانات طيلة العصور الوسيطية[4].

1. محمد عيسى الحريري: المرجع السابق، ص 182.
2. إبن عذارى: المصدر السابق، ص 175.
3. بوقاعدة البشير: المرجع السابق، ص ص 68-69.
4. طه عبيد خضر: المرجع السابق، ص 350.

وكثيرا ما نجد تعرض مساجد أو أسواق أو أحياء أو المنشأت العمرانية مدن المغرب المغرب الإسلامي الى الخراب الجزئي أو الكلي لأسباب قد تكون بشرية كالحرائق المقصودة التي طالتها وخير مثال على ذلك حرق مكتبة المعصومة بتيهرت من طرف فعل فاعل وهو عبيد الله الشيعي كما ذكرنا سابقا[1]. إلى جانب هذه الأسباب سالفة الذكر فقد إستفحلت ببلاد المغرب الأوبئة والمجاعات بسبب إما الجفاف أو الفيضانات أو الحصار والغزو، التي أدت إلى نزوح وهجرة السكان مما عجل بخراب مدنهم والأمراض الفتّاكة التي كانت ناتجة عن تعفن الجفف والأبئة[2]، ومن بين المجاعات الناتجة عن القحط نجد المجاعة التي أصابت بجاية سنة 610هـ/1214م، وقد أثرت هذه المجاعات والأوبئة على المظاهر الحضارية لبلاد المغرب، حيث ربطها إبن خلدون بنهاية عمر الدولة والتي تتعرض بسببها إلى فتن وإضطرابات من شأنها أن تؤدي إلى خراب عمرانها[3].

وعن الأوبئة التي إجتاحت بلاد المغرب فقد كانت تشكل عقبة أمام تحقيق الطموحات السياسية، حيث شكلت عقبة أمام تحقيق الطموحات السياسية فمثلا الطاعون الجارف الذي حدث سنة 749هـ/1348م، كان سببا في فشل التوحيد الذي خطط له الحسن المريني لتوحيد بلاد المغرب الإسلامي[4].

بالإضافة إلى هذا فقد شهدت بلاد المغرب ظاهرة أخرى أدت إلى خراب مدنها وهي إنتشار الجراد الذي يعد من الجوائح التي عرفها المغرب الإسلامي من ناحية الخطورة للآثار الناتجة عن سرعة إنتشاره وتكاثره، خاصة إذا لم يسقط المطر فهو بذلك يتكاثر أكثر فأكثر ويفقس بيضه، تكمن خطورة هذه الظاهرة في إتلاف المحاصيل الزراعية كما كانت تؤدي

1. البكري: المصدر السابق، 70.

2. مزدور سمية: **المجاعات والأوبئة في المغرب الأوسط (588-927هـ/1192-1520م)**، "رسالة ماجستير في التاريخ الوسيط"، قسم التاريخ والآثار، جامعة منتوري، قسنطينة، 1429-1430هـ/2008-2009م، (غير منشورة)، ص140.

3. إبن خلدون: **المقدمة**، المصدر السابق، ص 282.

4. مزدور سمية: المرجع السابق، ص226.

موجات الجراد التي إجتاحت بلاد المغرب لأنها تقضي على الأخضر واليابس فلا يجد أهل المغرب ما يأكلونه[1]، وكان الجراد منتشرا بكثرة بكثرة في بلاد المغرب والأندلس يقول في هذا إبن أبي زرع الفاسي، "وفي سنة 624هـ/1226م إشتد الغلاء بالمغرب والأندلس وفيها كان الجراد منتشرا بالمغرب"[2].

ومن هنا نصل إلى القول أن من بين الأسباب التي أدت إلى خراب المراكز العمرانية ببلاد المغرب الإسلامي هي الصراع على السلطة بين الولاة، والإنفصالات السياسية عن الخلافة في المشرق وإستقلالية دويلات المغرب الإسلامي، كذلك إنتشار الحركات المذهبية من الشيعة الفاطميين بقيادة أبي عبيد الله الشيعي، والخوارج بقيادة أبي يزيد النكاري بالإضافة إلى الغزو والهلالي الذي تعرضت إليه بلاد المغرب والعصبية القبلية التي مثلتها كل من قبيلة صنهاجة وزناتة بالإضافة إلى الصراعات السياسية داخل الأسر الزيرية بالإضافة إلى ماتسبب فيه العنصر البشري من تخريب للمدن دون أن ننسى مختلف الكوارث الطبيعية التي مرت بالمنطقة وتركت أثرها واضح على العمران.

1. مزدور سمية: المرجع السابق، ص 132.
2. إبن أبي زرع: المصدر السابق، ص 535.

خلاصة:

ما يكن إستخلاصه في هذا الفصل أن المدن التي قامت في بلاد المغرب الإسلامي قد تم فيها إحترام الأحكام الفقهية التي نصت عليها الشريعة الإسلامية، حيث تعتبر هذه المراكز العمرانية أمثلة معبرة عن حركة التعمير والتمدين التي شهدها المغرب الإسلامي بعد الفتح،على غرار ماحدث في المشرق الإسلامي، والمدن التي أتخذناها كأمثلة (القيروان وتيهرت) لا تزال قائمة إلى اليوم مع تغير في التسمية فقط وهذا لتؤكد على تواصل الحضارة الإسلامية بلاد المغرب على عكس المدن التي قامت على عهد الفينيقيين والرومان والبيزنطيين والتي لم يبقى منها سوى بعض الآثار، ورغم الخراب الذي مسّ الكثير من مدن المغرب الإسلامي لمختلف الأسباب التي ذكرناها مازال الطابع العمراني الإسلامي هو المميز لمختلف مدن المغرب.

الفصل الثالث: مدينة "سجلماسة أنموذجا"

أولا: نشأة مدينة سجلماسة

ثانيا: تأسيس مدينة سجلماسة

ثالثا: الأوضاع الإقتصادية

رابعا: الأوضاع الإجتماعية والمنشآت العمرانية

تمهيد:

بعد التعرف على أساسيات عمارة المدن الإسلامية عامة من شروط إختيار الموقع والموضع وأسس التخطيط العمراني نأتي في هذا الفصل إلى تطبيق مختلف هذه الأسس على نموذج الدراسة وهو مدينة سجلماسة في المغرب الأقصى للوقوف على مدى إحترام وتجسيد معالم عمارة المدن الإسلامية فيها من خلال التعرف على كيفية تأسيسها ومختلف مظاهر الحياة فيها وخصائصها العمرانية.

أولا: نشأة مدينة سلجماسة:

1. التسمية:

تسمية سجلماسة حسب القلقشندي هي "بكسر السين المهملة وكسر الجيم والسكون وفتح الميم ثم ألف وسين مهملة مفتوحة وهاء في الآخر"[1]، وعلى الرغم من أهمية سلجماسة إلا أن المؤرخين الجغرافيين والرحالة لم يبينوا لنا أصل تسميتها، غير الحسن الوزان مؤرخ القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي، والذي أرجع سبب تسميتها إلى قائد روماني سحب جنوده من موريطانيا، وإحتل نوميديا ومن ثم رحل غربا حتى وصل إلى ماسة، وعندها بنى بها مدينة أسماها سجلوم ماس أو سيجليو ماسة كشاهد على إنتصاره على دولة ماسة، بإعتبارها آخر مدنها، وبما أنها كانت خاتمة لفتوحاته عرفت بهذا الإسم ثم حرفت إلى سجلماسة[2].

هذا ويوضح لنا لحسن تاوشيخت في جمعه للمعطيات التاريخية حول سجلماسة أن النصوص التاريخية تمتد زمنيا من الخوارزمي في النصف الأول من القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي إلى إبن خلدون في كتابه "العبر" في النصف الثاني من القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي، ويأتي الحسن الوزان مائة عام بعد إندثارها بداية القرن العاشر هجري/السادس عشر ميلادي، ليقدم معلومات إضافية حول المدينة وذلك بإعتماده على معاينة ما تبقى من آثارها والرواية الشفوية[3].

الإشكالية التي تطرحها معظم الكتابات أن ثلاثة فقط من المؤرخين من زاروا المدينة إبن حوقل الذي زارها حوالي 380هـ/967م، إبن بطوطة سنة 752هـ/1392م، والحسن الوزان حوالي 918هـ/1516م، وقد كانت رواية الوزان هي مصدر آراء عدد كبير من

1. القلقشندي: ج.5، المصدر السابق، ص 163.

2. الحسن الوزان: المصدر السابق، ص 127.

3. لحسن تاوشيخت: **مدينة سجلماسة وشح المعطيات التاريخية والأثرية**، في دورية كان التاريخية، ع.12، جوان 2011، دار ناشري، الكويت، ص ص 19-25، ص19.

المؤرخين في موضوع التسمية وتاريخ تأسيسها وحسب ماك كول فإن المعنى الشائع في اللغة اللاتينية سجلا Sigilla هو مجموعة من الرسوم أو من الصور، ولكن مفرده Sigillan والذي هو الصيغة الواردة في عبارة حسن الوزان، يمكن كذلك أن يعني به أثر أو سمة أو علامة، كما كانت توجد في موريطانيا الرومانية مدينة أطلق عليها اسم سجلكوم Sigilocom إن كلمة locom تعني المكان مقصودة في الإسم[1]، كون لفظ سجيل دخيل على العربية لا يساعد التعليل الذي جاء به الحسن الوزان والإسم يمكن أن يكون من أصل عربي يعني في اللغة العربية دفتر أو تدوين أو وثيقة، وبهذا هي تشير إلى بعض التقارير أو البيانات من التجارة عبر الصحراء والكلمة في تركيبها غريب عن اللغة اللاتينية والعربية إلى البربرية، ولفظ سجلماسة في البربرية له علاقة بالماء، لأن الكلمات التي تشبهه في التركيب اللغوي لها علاقة بها، مثل أكلموس وأوكماس، وكماسة والتي تعني الأماكن المشرقة على مستوى جريان المياه، وأولماس وإلماس، وماسة تعني الأماكن التي يوجد بها الماء، أو التي إنقطع تواجده بها وكلمة سجلماسة مركبة من سيج إلماس وبهذا يكون معناها المكان المشرف على الماء أو المكان الذي يتواجد به الماء[2].

2. الموقع:

تقع مدينة سجلماسة في منطقة تافيلالت على طرق الصحراء من مدينة فاس في إتجاه الجنوب الشرقي على مسافة 315 كلم[3]، ويقول أبي الفداء: "أن سجلماسة تقع شرقي درعة لها نهر يأتي من الجنوب والشرق وينقسم فيمر على شرقي سجلماسة وغربيها، وعليه

1. ماك كول: **الروايات التاريخية عن تأسيس سجلماسة وغانة**، تع وتح: محمد الحمداوي، دار الثقافة، الدار البيضاء 1395هـ، ص 40.

2. حسن حافظي علوي: **سجلماسة وإقليمها من القرن الثامن الهجري/الرابع عشر ميلادي**، مطبعة فضالة، المغرب 1418هـ/1997م، ص 88.

3. عبد الحميد حسين حمودة: **تاريخ المغرب في العصر الإسلامي (منذ الفتح الإسلامي وحتى قيام الدولة الفاطمية)**، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، 2007، ص 348.

البساتين الكثيرة، ولها ثمانية أبواب ومن أي هذه الأبواب خرجت ترى التمر والنخيل، وهي مدينة تلي الصحراء الفاصلة بين بلاد المغرب وبلاد السودان الغربي وليس في جنوبها ولا غربيها عمارة"[1]، ويضيف الحموي: "تقع في صحراء المغرب الأقصى وبينها وبين البحر خمس عشرة مرحلة، وهي على نهر يقال له زيز، وهي على طرف الصحراء، بينها وبين غانة الصحراء مسيرة شهرين، وبينهما وبين وادي درعة، مسيرة خمسة أيام"[2].

كذلك تحدث ياقوت الحموي عن موقع سجلماسة فنجده يقول: "مدينة في جنوب المغرب في طرف بلاد السودان، بينها وبين فاس عشرة أيام تلقاه الجنوب، وهي في منقطع جبل درن"[3]، ويقول عبد الحميد زغلول تقع سجلماسة في شمال وادي درعة على طرف الصحراء جنوبا في آخر بلاد العمران وتليها المغارة الكبرى التي تؤدي إلى غانة[4].

يتضح لنا مما سبق أن مدينة سجلماسة كانت تقع على بعد بضع كيلومترات من مدينة الريساني حاليا بتافيلالت.

3. المناخ:

إن موقع سجلماسة على باب الصحراء الكبرى جعل المناخ جافا قاريا لتعرضه للتأثيرات البحرية بسبب إرتفاع جبال الأطلس الكبير والصغير ويمتاز مناخها بإرتفاع في درجة الحرارة في معظم فصول السنة، وقلة التساقط ووجود الرياح الحارة[5]، وقد وصف المقدسي مناخ سجلماسة، أنه شديد الحر والبرد، جميعا صحيحة الهواء[6].

---

1. عماد الدين إسماعيل بن محمد بن عمر أبي الفداء(ت732هـ/1331م)، **تقويم البلدان**، تح: مستشرقين فرنسيين، دار صادر، بيروت، 1850م، ص 137.
2. الحميري: المصدر السابق، ص 305.
3. ياقوت الحموي: مج.3، المصدر السابق، ص 192.
4. عبد الحميد سعد زغلول: **تاريخ المغرب العربي (تاريخ دول الأغالبة والرستميون وبني مدرار والأدارسة قيام الفاطميين)**، ج.2، منشأة المعارف للنشر، الإسكندرية، 1993، ص 409.
5. حسن حافظ علوي: المرجع السابق، ص 40.
6. المقدسي: المصدر السابق، ص 231.

وبما أن المدينة كانت قليلة التساقط ويعتمد في معظم نشاطاتها على مياه الأنهار والأودية مناخها لم يتغير طيلة قيامها، فقد وصفها الحميري نقلا عن صاحب الاستبصار بقوله: "سجلماسة بلد مفرط الحر، شديد القيظ، وأن ماء المطر بها قليل كما ذكر الحسن الوزان أن الحرارة تشتد في فصل الصيف وكثيرا ما يجف الشهر في هذا الفصل من السنة ويقل الماء جدا بحيث لا يجد الناس غير الماء الملح المستخرج من الآبار المحفورة باليد كذلك، كثرة الغبار ما يسبب التهاب أعين الناس[1].

مجمل القول سجلماسة إمتازت بمناخ قاري وحار وجاف، وإعتبرت لدى البعض أنها من المناطق التي يستحيل فيها ممارسة النشاط الزراعي لقلة التساقط الذي كان بكميات محدودة، إلا أنها إعتمدت على الأنهار في ذلك فقد تربعت على نهر يقول عنه إبن حوقل: "المدينة على نهر يزيد في الصيف كزيادة النيل في وقت كون الشمس في الجوزاء والسرطان والأسد فيزرع بمائه حسب زروع مصر في الفلاحة"[2]، وهذا يدل على أن النهر يعرف إرتفاعا منسوبا في فصل الصيف وفي هذا تناقض مع خصائص المناخ الذي يتسم بالجفاف والحرارة الشديدة، ولعل هذا يمكن تفسيره بذوبان الثلوج المتراكمة في المناطق الجبلية فثلوج الأطلس الكبير الشرقي لا يتم ذوبانها إلا في مدة قد تتراوح ما بين ستة وسبعة أشهر، كما يمكن أن يعتبر بكثرة التساقط الناتج عن العواصف التي تعرفها مرتفعات الأطلس في فصل الصيف[3].

ثانيا: تأسيس مدينة سجلماسة:

تتفق معظم المصادر التاريخية على أن تأسيس مدينة سجلماسة كان بحدود 140هـ/757م، إلّا أنها إختلفت في أمر مؤسسها الحقيقي، فيذهب إبن عذارى المراكشي أن أبو القاسم سمغو بن واسول المكناسي هو المؤسس الحقيقي للمدينة ويقول في هذا: "كان أبو

1. الحسن الوزان: المصدر السابق، ص 126.
2. إبن حوقل: المصدر السابق، ص 90.
3. حسن حافظ علوي: المرجع السابق، ص 44.

القاسم سمغون بن واسول المكناسي صاحب ماشية كثيرة، ينتجع موضع سجلماسة، ويتردد إليها وكان براحا، يجتمع الناس فيه من قبائل البربر المجاورين له، يتسوقون فيه فاجتمع قوم من الصفرية على أبي القاسم سمغون، وسكنوا معه هناك في خيمات، ثم شرعوا في البناء حدود الأربعين ومائة"[1].

ويتفق معه في هذا كل من البكري[2] وصاحب كتاب الإستبصار[3] والحميري[4] ويضيف هؤلاء المؤرخين رواية أخرى مفادها أن مؤسس المدينة رجل حداد يدعى مدرار من ربضية قرطبة خرج من الأندلس عند وقعة **الربض**[5]، فنزل قرب موضع مدينة سجلماسة وأنشأ بها خيمة وسكنها وبنى الناس حوله وبذلك هذا هو أصل عمارتها.

ويشير أيضا أحد الباحثين المحدثين أن مؤسس سجلماسة روحيا ثم عمليا هو الداعي أحد رجالات الصفرية، الزناتي الأصل أبو القاسم سمغون بن واسول[6].

من خلال الروايات المتضاربة حول المؤسس الحقيقي للمدينة يتضح أنه أبو القاسم سمغون بن واسول، كما يذهب إلى ذلك إبن عذارى وإبن خلدون، أما بالنسبة للرواية التي صاغها كل من البكري وصاحب الإستبصار والحميري في أن مؤسسها من ربضية الأندلس

1. إبن عذارى: المصدر السابق، ص 156.
2. البكري: المصدر السابق، ص 149.
3. مؤلف مجهول: **الإستبصار**، المصدر السابق، ص 201.
4. الحميري: المصدر السابق، ص 306.
5. **الربض:** ضاحية بجنوب قرطبة قام سكانها بثورة ضد حكم الأمير الحكم الأول إبن هشام أواخر (ق2هـ)، والذي إستطاع أن يفضي على هذه الثورة، كما أمر من بقي من الربضين بترك الأندلس فإستقر قسم منهم في فاس وتوجه قسم آخر إلى الإسكندرية، أنظر: محي الدين أبو محمد عبد الواحد المراكشي (ت643هـ/1245م): **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، تح: محمد سعيد العريان، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، 1963، ص 44.
6. عبد الكريم الفيلالي: **التاريخ السياسي المغرب العربي الكبير**، ج.2، شركة ياسر للطباعة، القاهرة، 2006، ص 96.

فلا يمكن قبولها وذلك لأن وقعة الربض كانت في حوالي 202هـ/817م، أي أيام حكم اليسع بن أبي القاسم سمغون وتأسيس المدينة كان في 140هـ/757م[1].

1. أئمة بني مدرار:

– **فترة حكم أبي القاسم سمغون بن واسول المكناسي:** بعد أن قام الصفرية بقتل إمامهم عيسى بن يزيد ولّوا عليهم أبا القاسم سمغون الذي يقال أنه هو من حمل قومه على تنصيب عيسى بن يزيد إماما عليهم عند تأسيس سجلماسة[2].

يقول إبن خلدون في هذا "وإجتمعوا بعده – أي بعد عيسى إبن يزيد الأسود – على كبيرهم أبي القاسم سمغون بن مصلات"[3]، عندما تربع على الحكم أعلن بالدعوة للمنصور والمهدي العباسيين مع أنه صفري المذهب، وقام أيضا ببناء السور الخارجي والتنظيمات الإدارية والمالية، وحالة الأمن والهدوء التي شهدتها الدولة فترة حكمه ساعدت على إزدهار حركة التجارة[4].

– **فترة حكم أبو الوزير إلياس أبي القاسم:** تولى الحكم خلفا لوالده، ولقبوه بالوزير لكن سرعان ما ثار عليه قومه و خلعوه سنة 194هـ/810م، وولّوا مكانه أخاه اليسع بن أبي القاسم الملقب بأبي منصور الذي إتسم بالحزم والشدة والعناد وهو الذي فرض الخمس على معادن درعة، وإختط بها المصانع والقصور وأكمل بناء السور الذي إختطه والده[5].

---

1. لحسن تاوشيخت: **عمران سجلماسة دراسة تاريخية وأثرية**، ج.1، المرجع السابق، ص 85.

2. بوزياني الدراجي: **دول الخوارج والعلويين في بلاد المغرب والأندلس**، ط.3، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2007، ص 64.

3. إبن خلدون: **العبر**، ج.6، المصدر السابق، ص 267–268.

4. محمد بن عبد الله بن سعيد بن علي الشهير بلسان الدين إبن الخطيب(ت776هـ/1374م): **تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط**، القسم الثالث من كتاب أعمال الأعلام، تح: أحمد مختار العبادي ومحمد الكتاني، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1964، ص 141.

5. إبن خلدون: **العبر**، ج.6، المصدر السابق، ص 172.

- فترة حكم مدارر اليسع الملقب بالمنتصر بن سمغون:

أصبحت الدولة الصفرية تنسب إليه بعد أن حاز شهرة واسعة حيث شهدت تحولا مذهبيا يميل إلى الإعتدال نحو المذهب الإباضي، وتعزز ذلك بعد أن تزوج أروى بنت عبد الرحمن بن رستم[1]، ومن أهم الأحداث التي ميزت عهده الخلاف السياسي الذي حدث بين ولديه ميمون إبن التقية، وإبن الرستمية، وكان والدهما يميل لإبن الرستمية الذي تمكن من نفي أخيه إلى درعة وعمل على عزل والده، ما جعل أهل سحلماسة يثورون عليه، وقاموا بخلعه. وتولى مكانه إبن التقية إلى وفاته سنة 263هـ/876م[2].

- فترة حكم محمود بن ميمون المكناسي: عند توليه مقاليد الحكم كانت الدولة المدرارية تعيش في فوضى وإضطرابات سياسية بسبب الصراعات الداخلية التي تمثلت في التنازع بين أفراد الأسرة الحاكمة، حاول جاهدا أن يهدأ الوضع السياسي للدولة لكن سرعان ما توفي سنة 270هـ/883م[3].

- فترة حكم اليسع بن مدرار المنتصر المكناسي: كان حسن السيرة محمود الخصال، نجح في تهدئة الإضطراب التي كانت بسبب النظام الوراثي كما إهتم بالنواحي الإقتصادية وإزدهرت مدينة سجلماسة في عهده وعمها الرخاء[4]، إلى أن ظهر عبيد الله الشيعي وأطاح بحكم اليسع وقتله وذلك سنة 296هـ/908م[5].

---

1. إبن الخطيب: المصدر السابق، ص 145.
2. إبن عذارى: المصدر السابق، ص 155.
3. البكري: المصدر السابق ص 150.
4. أبو هريرة عبد الله محمود يعقوب: **مظاهرة الحضارة في سجلماسة في عهد (إمامة بني واسول الصفرية) 140-316هـ/757-978م**، "رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية"، قسم التاريخ والحضارة الإسلامية، جامعة أم درمان الإسلامية، 1414هـ/1994م، (غير منشورة)، ص 53.
5. البكري: المصدر السابق، ص 151.

- **فترة حكم واسول الفتح بن ميمون الأمير بن مدرار:** قبل أن يخرج عبيد الله المهدي من سجلماسة نصب عليها واليا من قبله يدعى **إبراهيم بن غالب المزاتي**[1]، ولم تدم فترة حكمه أكثر من خمسين يوما حتى ثاروا عليه في سنة 298هـ/910م[2]، بعدها نصبوا مكانه الفتح بن ميمون بن مدرار الملقب بالواسول الذي يقول عنه إبن خلدون أنه كان إباضيا، وبقي في الحكم حتى وفاته سنة 300هـ/912م[3].

2. علاقات دولة بني مدرار:

رغم أن أمراء بني مدرار قد إنصرفوا إلى الحفاظ على إستقلالهم السياسي ومذهبهم الديني الخارجي ومصالحهم الإقتصادية ونادوا بضرورة الخروج عن العزلة السياسية فكانت لهم علاقات بالدول المجاورة التي تميزت بطابعين الطابع الودي والعدائي مع مختلف أقطار المغرب الإسلامي وأيضا مع الخلافة العباسية والأندلس.

أ/ العلاقات الودية:

- **علاقة بنو مدرار بالرستميين:** كانت العلاقة بينهم ودية تميزت بحسن الجوار، الذي حافظ عليه كل منهما، خاصة وأن الفضل في تأسيس كل من الدولة الرستمية والمدرارية يعود للخوارج و بلغت العلاقة ذروتها في عهد اليسع بن أبي القاسم المعروف بأبي المنصور (194-198هـ) وعبد الرحمن بن رستم الذي كانت بينهما مصاهرة حيث تزوج مدرار بن اليسع من أروى بنت عبد الرحمن بن رستم، وقد أكد هذا إبن خلدون في قوله: "أن اليسع أصهر لعبد الرحمن بن رستم صاحب تيهرت بإبنه مدرار في إبنته أروى فأنكحه إياها"[4] هذا وقد كان لهذه المصاهرة أبعادا تمثلت في مصالح مشتركة لكلا الدولتين، فعبد الرحمن

---

1. **إبراهيم بن غالب المزاتي:** من رجال قبيلة كتامة التي ناصرت الدعوة الشيعية، نصبه عبيد الله المهدي واليا على سجلماسة، إلّا أنهم قد ثاروا عليه أهلها كونه كان شيعيا مجاهرا بعدائه للخوارج وسعى لتطبيق مبادئ الفكر الشيعي على أهل سجلماسة الذين كانوا متعصبين للفكر الخارجي؛ أنظر: إبن عذارى: المصدر السابق، ص 244.
2. القلقشندي: المصدر السابق، ص 166.
3. إبن خلدون: **العبر**، ج.6، المصدر السابق، ص 174.
4. المصدر نفسه: ص 268.

كان يسعى إلى تأمين حدود دولته من الخطر الذي أصبح يشكله اليسع عند توسيعه لحدود دولته[1]، والهدف الثالث من هذه لمصاهرة هو كسب الرستميين لحليف لهم يغنيهم شر الأغالبة خلفاء العباسيين في بلاد المغرب[2].

بعد هذه المصاهرة أنجبت أروى ولدا لمدرار وهو ميمونا الذي لعب دورا هاما في الحياة السياسية للدولة المدرارية في سجلماسة وبهذا كانت العلاقة السياسية وطيدة وقوية أدت إلى تبادل في العلاقات الثقافية والتجارية بين الدولتين[3]، وعن العلاقة التجارية بينهما يقول البكري "ومن مدينة سلجماية تدخل إلى بلاد السودان إلى غانا وبينهما وبين مدينة غانا مسيرة شهرين في صحراء غير عامرة"[4]، وهذا يعني أن طريق التجارة من تيهرت الى غانا وبلاد السودان الغربي يمر بسجلماسة والقوافل التجارية التي تعبر بها فتستقر بالمدينة ثم تأخذ معها مختلف المنتجات والسلع فتدخل ضمن التجارة الرستمية.

من هنا يمكن القول أن العلاقة بين الرستميين وبني المدرار كانت ذات طابع ودي حيث سعت كل منهما إلى تحقيق التضامن وإحلال السلم بين دولتي الخوارخ.

- **علاقة بني مدرار ببني أمية في الأندلس:** تميزت العلاقة بين بني أمية في الأندلس وبني مدرار في سجلماسة بالتعاون الإقتصادي والسياسي رغم الإختلاف المذهبي والبعد الجغرافي بينهما لكن تعود أسباب العلاقة الطيبة إلى توافقهم في الأهداف حيث سعى كل منها إلى القضاء على الخلافة العباسية[5]، كما تأثرت العلاقة الودية التي كانت بين الرستميين والأمويين بطبيعة العلاقة بين بني مدرار والأمويين لهذا جمعت بينهما العلاقة الحسنة،

---

1. الباروني: **الأزهار الرياضية**، المصدر السابق، ص 94.

2. شنايت العيفة: **دولة بني مدرار بسجلماسة ودور تجارة القوافل في ازدهارها الحضاري بين القرنين الثاني والرابع الهجريين**، "رسالة ماجستير بمعهد التاريخ بجامعة الجزائر"، 1990-1991م، (غير منشورة)، ص 102.

3. محمد عيسى الحريري: المرجع السابق، ص 207.

4. البكري: المصدر السابق، ص 149.

5. محمود إسماعيل عبد الرزاق: **الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري**، ط.2، دار الثقافة، الدار البيضاء، 1985م، ص 149-150.

بالإضافة إلى أنه كان هناك عدو مشترك آخر إلى جانب العباسيين وهو العداء مع الفاطميين ما أدى إلى تقوية العلاقة بين الدول الثلاث (الرستميين، الأمويين والمدراريين)[1]، كما أقام عبد الرحمن الداخل علاقات صداقة مع عيسى بن يزيد الأسود أول أئمة بني مدرار، وإستمرت العلاقة الودية زمن أبو القاسم الإمام الثاني لسجلماسة وإبنه إلياس بن أبي القاسم، وقويت زمن هاشم الأول المعاصر لليسع الأول فضلا عن ذلك فقد ظلت حتى زمن عبد الرحمن الثاني المعاصر لمدرار وتواصلت العلاقة الطيبة عهد محمد بن عبد الرحمن الذي يعد من خيرة أمراء بني أمية في الأندلس[2].

يقول إبن عذارى "أن محمد بن عبد الرحمن كان محبوبا في جميع البلدان، وكان صاحب تيهرت، وأئمة سجلماسة لا يقدمون ولا يؤخرون في أمورهم إلّا بعد مشورته"[3]، على العموم كانت العلاقة السياسية بين بني أمية وبني مدرار علاقة طيبة ودية تحكمها مصالح مشتركة لصد عدو مشترك.

ب/ العلاقات العدائية:

- **علاقة بني مدرار بالأغالبة:** لأن الدولة الأغلبية كانت تحت سلطة الخلافة العباسية في المشرق وتابعة لها، لهذا كانت هناك علاقة أقل ما يمكن القول عنها أنها علاقة متوترة عدائية إلا أنها لم تصل إلى حد التناحر والصراع الفعلي بين الدولتين وكان هذا العداء يسبب ما تعرض له الخوارج الصفرية من بطش وإضطهاد من طرف ولاة القيروان[4]، كما كان العداء بين الدولتين ظاهري وذلك لإنشغال الأغالبة بشؤونهم الداخلية المتمثلة في طموحاتهم التوسعية في البحر الأبيض المتوسط[5].

1. شنايت العيفة: المرجع السابق، ص 121.
2. أبو هريرة عبد الله محمود يعقوب: المرجع السابق، ص 66.
3. إبن عذاري: المصدر السابق، ص 191.
4. محمود إسماعيل عبد الرزاق: المرجع السابق، ص 134.
5. أبو هريرة عبد الله محمود يعقوب: المرجع السابق، ص 65.

- **علاقة بني مدرار بالدولة الفاطمية:** تعود العلاقة السياسية بين دولتي بني مدرار والفاطميين إلى سنة 297هـ/910م وذالك بدخول أبو عبد الله الشيعي مع جيشه سجلماسة وتخليص أبو عبد الله المهدي وإبنه القائم من سجنهما[1]، وأقام المهدي وداعيته أبو عبد الله الشيعي في سجلماسة أربعين يوما إنتقموا فيها من أهل سجلماسة، ونهبوا أموالهم وأجلوا الكثير منهم[2]، كما قام الجند الفاطمي بعمليات سلب ونهب واسعة وقام أيضا بحرق مكتبة سجلماسة الكبرى التي تحتوي نفائس الكتب كما فعل بمكتبة المعصومة بتيهرت[3].

- **علاقة بني مدرار بالأدارسة:** لما قامت دولة الأدارسة بالمغرب الأقصى سنة 172هـ/789م على حساب الخوارج الصفرية، نشب بينهم عداء وما زاد من حدة هذا العداء الخلاف المذهبي، لأن الأدارسة سنين و المداريون خوارج[4].

ما يؤكد لنا أيضا أن العلاقات المدرارية بالأدارسة كانت عدائية هو محاولة حكام بني مدرار القضاء على سلطان دولة فاس، بعد تعرض حكام دولة الأدارسة لصفرية سجلماسة المقيمين بتلمسان حيث كان اليسع بن أبي القاسم يسعى للسيطرة على هذا الإقليم[5].

أما العداء الإقتصادي فقد تجسد في إقليم درعة لغناه بالمعادن كالذهب والفضة والذي زاد طمع الأدارسة فيه بإعتباره كان المحرك الرئيسي في إقتصاد الدولة المدرارية[6]، كما لم لم يمنع الحاجز الطبيعي بينهما إمكانية غزو إحداهما للأخرى حيث يشير إلى هذا إبن أبي

---

1. إبن عذارى: المصدر السابق، ص 222.
2. مؤلف مجهول: **الإستبصار**، المصدر السابق، ص 203-204.
3. أبو هريرة عبد الله محمود يعقوب: المرجع السابق، ص 73.
4. عباس نصر الله سعدون: **دولة الأدارسة في المغرب(العصر الذهبي 173هـ-223هـ/788م-835م)**، دار النهضة العربية، بيروت، 1987، ص 165.
5. وفاء يعقوب جبريل برناوي: **دولة بني مدرار الصفرية بالمغرب الأقصى الإسلامي دراسة تاريخية حضارية 140-347هـ/787-908م**، "رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي"، قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 1424هـ/2003م، (غير منشورة)، ص 62-64.
6. محمود إسماعيل عبد الرزاق: المرجع السابق، ص 149.

زرع إلى ما قاله داوود بن القاسم بن عبد الله بن جعفر الأوربي الذي قال "شهدت مع ادريس بعض غزواته للخوارج الصفرية من البربر فلقيناهم ثلاثة أضعافنا"[1].

- **علاقة بني مدرار بالعباسيين:** عند سقوط دولة بني أمية أصبحت السلطة بيد العباسيين في المشرق والمغرب وسرعان ما بينت رفضها لجميع الكيانات السياسية المستقلة في بلاد المغرب فبدأت العلاقة العدائية بين الدولة المدرارية والدولة العباسية منذ أن أرسل الخليفة المنصور خيرة رجاله لإعادة الدول المستقلة الى سلطة الخلافة العباسية[2].

لقد إتخذت العلاقات طابعا عدائيا، لكن لم يصل إلى حد قيام الحروب بين أئمة سجلماسة وأمراء، العباسيين، فانصرف العباسيون إلى الإحتفاظ بإفريقيا وتخلوا عن المغرب الأقصى، كما لم يكلف بنو مدرار أنفسهم عناء إقامة جيوش في أقصى الجنوب لخوض حروب غير مأمونة العواقب في أقصى الشمال وإنصرفوا لمواجهة مشاكلهم الداخلية، والإهتمام بمصالحهم التجارية[3].

3. سقوط الدولة المدرارية وخراب سجلماسة:

أ/ سقوط الدولة:

بعد أن وصل عبيد الله الشيعي مدينة سجلماسة أرسل إلى إبن مدرار ليعلمه أنه لم يأتي بنيتة الحرب وأكد له أنه جاء مسالما بالرغم من النية التي قدمها عبيد الله إلاّ أن إمام سجلماسة قد قتل الرسل الذين بعثهم عبيد الله، عند ذلك قام عبيد الله بتجهيز جيشه لدخول مدينة سجلماسسة وإقتحامها حيث دارت بينهم معركة أدت إلى قتل جنود اليسع ماجعله يفر بالفرار مع أهله خراج سجلماسة[4]، بهذا كانت نهاية دولة بني مدرار على يد الفاطميين بقيادة عبيد الله الشيعي، وقد إختلف المؤرخون في تحديد تاريخ سقوطها، حيث نجد إبن

1. إبن أبي زرع: المصدر السابق، ص 26.
2. أبو هريرة عبد الله محمود يعقوب: المرجع السابق، ص 63.
3. محمود إسماعيل عبد الرزاق: المرجع السابق، ص 129.
4. إبن أبي عبد الله بن محمد بن أحمد القاضي النعمان(ت363هـ/973م): **إفتتاح الدعوة**، تح: فريد الدشراوي، ط.2، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، 1996، ص ص279-283.

الأثير يؤرخ لها بـ297هـ/910م ويفسر لنا هذا بقوله: "فلما ظهر المهدي أقام بسجلماسة أربعين يوما، وسار إلى إفريقية وأحضر الأموال من إيكجان...ووصل إلى رقادة في العشرة الأخيرة من سنة سبعة وتسعين ومائتين وأزال ملك بني الأغلب وملك بني مدرار"[1]، في حين يؤكد إبن عذارى أن تاريخ سقوطها قد كان سنة 296هـ/909م في قوله: "خرج عبيد الله من سجنه بسجلماسة وإستولى عليها وظفر بملكها في سنة 296هـ...وإنقرضت دولة بني مدرار بسجلماسة"[2]، إن الملاحظ أن الإختلاف الذي بينهما كان بفارق سنة واحدة علما أنهما يتفقان في أن دولة بني مدرار قد سقطت ككيان سياسي بدخول عبيد الله الشيعي الذي عاث فيها فسادا.

ب/ خراب مدينة سجلماسة:

وصلت مدينة سجلماسة إلى مرحلة من التحضر فكانت دورها جميلة وعمها الترف بفضل تجارة أهلها خاصة مع بلاد السودان والإزدهار الإقتصادي الذي شهدته، كما أنها لم تختلف عن المراكز العمرانية التي قامت ببلاد المغرب فهي لم تخرج عن القاعدة المتعارف عليها في التوازن والتكامل المعماري، بداية بتخطيط المسجد الجامع ثم دار الإمارة والسوق فالمرافق الأخرى، بالرغم من كل هذا فقد آلت المدينة إلى ماآلت إليه بقيت المراكز العمرانية من خراب.

بدأت مدينة سجلماسة في التدهور منذ فترة حكم أبي الحسن المريني خلال منتصف القرن الثامن هجري/ الرابع عشر ميلادي، حيث عانت سجلماسة من الثورات والتمردات بين حكامها وبين سلاطين بني مرين الذين عهدوا بحكم إقليم سجلماسة إلى أبنائهم ماجعل أهل سجلماسة يثورون على الوالي المريني وقاموا بهدم سور المدينة[3]، هذا وقد ساهمت عدة عوامل في خراب مدينة سجلماسة غير مباشرة يمكن تلخيصها في الآتي:

1. إبن الأثير: المصدر السابق، ج.4، ص 229.
2. إبن عذارى: المصدر السابق، ص 157.
3. لحسن تاوشيخت: **عمران سجلماسة دراسة تاريخية وأثرية**، ج.2، المصدر السابق، ص 413.

- العامل الأول: يتمثل في هيمنة القبائل العربية وما سببته من قلاقل أثرت بشكل كبير على الحياة الإقتصادية للمدينة والتي تقوم عليها بالدرجة الأولى، قضعفت بذلك المحاصيل الزراعية وتوقفت عن صك العملة.
- العامل الثاني: يتعلق بتحول المسالك التجارية الصحراوية نحو موانئ المحيط الأطلسي ونحو المناطق التي كانت أكثر أمنا كتلمسان في المغرب الأوسط وإفريقية ودرعة، حيث أدى هذا التحول إلى فقدان المدينة لكواردها الرئيسية التي قامت عليها بداية تأسيسها[1].
- العامل الثالث: يرتبط هذا العامل بسياسية بني مرين أنفسهم خاصة أبي يوسف يعقوب وأبي الحسن تجاه سكان سجلماسة حيث قاموا بمحاصرة المدينة لفترة طويلة وإقتحموها عنوة ما أثر سلبا على قاعدتها الإقتصادية، وتحويل مجرى عيونها الطبيعية، حيث يشير الناصري إلى هذا في قوله: "إن أهل سجلماسة إختلفوا مع السلطان الأكحل فحاصرها وإشتغل بتغيير ماء العين التي تسقى منها فكان ذلك سببا في خلائها"[2].
- العامل الرابع: تمثل في الظروف المناخية القاسية من جفاف وأوبئة وما حل ببلاد المغرب منتصف القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي[3]، كما تحدث إبن خلدون عن الطاعون الذي عمّ بلاد المغرب بما فيه مدينة سجلماسة ومدى تأثيره على عمران المدن يقول إبن خلدون في هذا: "وذهب بأهل الجيل وطوى كثيرا من محاسن العمران ومحاها، وجاء للدول حين بلوغ الغاية من مداها فقلص من ظلالها وقلّ من حدها وأوهن من سلطانها، وتداعت إلى التلاشي والإضمحلال أحوالها"[4].

ما يمكن قوله أن مدينة سجلماسة قد بدأت بالإنهيار والإندثار في فترة عدم الإستقرار السياسي والإضطرابات المذهبية التي شهدتها المدينة.حسب حسن حافظ علوي فإن تخريب

1. الحسن الوزان: المصدر السابق، ص 122.
2. أبو العباس أحمد خالد الناصري: **الإستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى**، ج.3، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1954، ص 120.
3. لحسن تاوشيخت: **عمران سجلماسة دراسة تاريخية وأثرية**، ج.2، المرجع السابق، ص413.
4. إبن خلدون: **المقدمة**، المصدر السابق، ص 187.

مدينة سجلماسة كان على مرحلتين: المرحلة الأولى ما حدث في أواخر القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي، بعد الثورة التي قام بها أهل سجلماسة سنة 597هـ/1393م وتهديمهم لسور المدينة الخارجي .

أما المرحلة الثانية: فيرجح أن ثورة الأهالي هي بداية لأعمال التخريب المتوالية التي أدت إلى إندثار المدينة وتهديم معالمها المعمارية بالتدرج حتى وصلت المدينة إلى نهايتها المحتومة[1].

ثالثا: الأوضاع الإقتصادية.

1. **الزراعة:** قبل الحديث عن النشاط الزراعي في مدينة سجلماسة وتنوع المحاصيل الزراعية لابد من التطرف إلى نوعية التربة التي إتفقت معظم الكتابات الجغرافية على أن مدينة سجلماسة أرض سبخة وهذا المصطلح يطلق على التربة كثيرة الملوحة، وما يؤكد هذا قول البكري: "ومدينة سجلماسة مدينة سهلية أرضها سبخة حولها أرباض كثيرة"[2]، أما القلقشندي فذكر أن أرضها مشققة"[3]، في حين إنفرد القزويني برأي آخر أن سجلماسة في مقطع جبل درن في وسط رمل"[4].

بالإضافة إلى نوعية التربة السبخية التي كانت عليها سجلماسة والمعطيات المناخية التي تحدثنا عنها سابقا، كلها أعطت حافزا للفرد السجلماسي للبحث من وسائل وطرق وتقنيات جديدة للحصول على الماء بحفر الآبار والمحافظة على المياه بفضل السدود، وهذا قصد تعويض النقص الحاصل في كميات التساقط وإستغلال مياه الأودية بشكل أفضل، وكذلك تنقية التربة من الملح، غير أن النشاط الزراعي المكثف ووفرة الإنتاج الذي عرفته المدينة الفضل فيه يعود إلى وادي زيز، وغريس، وقد إرتبطت الدورة الزراعية في سجلماسة

1. حسن حافظ علوي: المرجع السابق، ص 438.
2. البكري: المصدر السابق، ص 148.
3. القلقشندي: المصدر السابق، ص 164.
4. القزويني: المصدر السابق، ص 42.

بالظروف المنافسة وبوفرة المياه وأقليتها بوادي زيز[1]. سوف نوضح في الجدول التالي الدورة الزراعية بسجلماسة وعلاقتها بالمعطيات المناخية حسب ما ذكره الحسن الوزان:

الجدول 01

الدورة الزراعية بسجلماسة

شهور السنة	نوع النشاط الفلاحي	الظروف المناخية
أكتوبر	بداية موسم الحرث ويقصد الحرث البكري" وحصاد الحناء	موسم التساقط
نوفمبر	الحَرْثُ المَازُوزي أي الذي يتم حصاده نهاية الفصل	موسم التساقط
دجنبر (ديسمبر)		موسم البرد
يناير (جانفي)		موسم البرد
فبراير	تغيير شجر النخيل	بداية فترة الاعتدال
مارس	تغيير شجر النخيل	موسم فيضانات الأنهار
أبريل	حصاد الشعير– زراعة الخضر	الرياح الغبارية
ماي	حصاد القمح–زراعة الحناء	بداية الموسم الحار
يونيو		موسم الحرارة المفرطة
يوليو (جويلية)		
غشت (أوت)	حصاد محصول الحناء	
شتنبر (سبتمبر)	جني التمور	بداية موسم التساقط بداية الفيضانات

عن: الحسن الوزان، المصدر السابق، ص122، (بتصرف).

1. حسن حافظ علوي: المرجع السابق، ص ص 294–295.

يتضح لنا من الجدول أن النشاط الزراعي بسجلماسة يتحكم فيه الظروف المناخية، وأن الفلاح السجلماسي يتوقف عن الزراعة في فصل الشتاء في دجنبر ويناير بسبب البرودة المفرطة، وكذلك في فصل الصيف يونيو ويوليو بسبب الحرارة الشديدة التي تعيق نشاطه.

- **الحبوب:** إن الأراضي المحيطة بسجلماسة هي أراضي صحراوية لا تسمح بزراعة الحبوب مثل سهول وادي شلف بالقرب من تاهرت، ولهذا إعتمد الفلاحون في سجلماسة على زراعة الحبوب السفوية في البساتين المقاومة على الوادي، أي التي تعتمد على السقي بشكل كبير[1]، ويشير إبن حوقل في إطار حديثه عن زراعة الحبوب بسجلماسة قائلا: "... فيزرع بمائه حسب زروع مصر في الفلاحة، وربما زرعوا سنة عن بذر وحصدوا ما راع من زرعه وتوارت السنون بالمياه، فكلما أغدقت تلك الأرض سنة في عقب أخرى حصدوه إلى سبع سنين، بسنبل لا يشبه سنبل الحنطة، ولا الشعير بحب صلب المكسر لذيذ الطعم وحلقه ما بين القمح والشعير"[2]، وعند البكري الحصاد يكون على ثلاثة سنوات ويسميه بالصيني[3].

ما يمكن إستنتاجه من أن زراعة الحبوب تكون بالبذر سنة والحصاد لثلاثة أو سبعة أعوام حسب إختلاف الجغرافيين هذا يعود إلى الحرارة الشديدة والتي تتسبب في تشقق التربة بما أنها طينية، وعند نضوج المحاصيل تتناثر حباته ويدخل في تلك الشقوق وعندما تغمرها المياه في العام الذي يليها يخرج الزرع من دون بذر إلّا أن الإنتاج يختلف في الكم والنوع[4].

يفسر لنا الإدريسي طول مدة الإنتاج في الحبوب بأن سجلماسة على نهر وهو يزيد في الصيف كزيادة نهر النيل ويزرع بمائه حسبما يزرع فلاحوا مصر، ولزراعته إصابة كبيرة

---

1. الحبيب الجنحاني: **الحياة الإقتصادية والإجتماعية في سجلماسة عاصمة بني مدرار**، في مجلة المؤرخ العربي، ع.5، الأمانة العامة لإتحاد المؤرخين العرب، العراق، (د.ت)، ص ص 141-158، ص 142.
2. إبن حوقل: المصدر السابق، ص 90.
3. البكري: المصدر السابق، ص 151.
4. حمد محمد الجهيمي: **الحياة الإقتصادية في سجلماسة من نشأتها إلى إكتمال بنائها (140-297هـ/758-909م)**، في مجلة العلوم والدراسات الإنسانية، ع.3، ص ص 1-20، ص 13.

معلومة وفي بعض الأعوام الكثيرة المياه المتواترة بخروج هذا الشهر ينبعث لهم ما حصدوه في العام السابق من غير بذر وفي أكثر من السنين إذا فاض النهر عندهم ثم رجع بذروا على تلك الأرض"[1]، أي أن الإدريسي هنا يربط تواتر الحصاد من غير بذر بكميات تدفق النهر فكلما زاد كثرة سنين الحصاد.

- **التمور**: تعتبر غراسة النخيل من الأنشطة الفلاحية التي مارسها الفلاحون في سجلماسة خلال العصر الوسيط ومن الأسباب التي دفعتهم للإهتمام بالنخيل قدرتها على النمو في التربة المالحة وحاجتها إلى القليل فقط من الماء بالإضافة إلى نموها بشكل سريع في التربة الناتجة عن تراكم طمي الفيضانات[2]، وقد وضحنا موسم غراستها في جدول الدورة الزراعية.

كما أشار عديد الجغرافيين إلى وجود النخيل في سجلماسة بقول إبن حوقل: "لها نخيل وبساتين حسنة"[3]، وأورد البكري هذا في قوله: "وهي كثيرة النخيل"[4]، وأكد هذا صاحب الاستبصار قوله: "ولها بساتين وهي كثيرة النخل"[5]، وقد وصف تمر سجلماسة بـ (معدن التمر) وتعددت أنواعه فيها وبلغت جودته في سجلماسة ذروتها حتى أصبح مضاهي لتمر العراق[6]. بالإضافة إلى جودة تمور سجلماسة ووفرتها فقد شكلت في العصر الوسيط سلعة تبادل تجاري نقلت عن طريق القوافل التجارية إلى مختلف الحواضر والمدن المغربية وبلاد السودان الغربي، فقد ذكر الإدريسي أن تجارة التمور تحويلا، السودان تعود للقرن السادس الهجري وأنه لم يصل أهل **لَمْلَمْ**[7].

---

1. الإدريسي: المصدر السابق، ص ص 37-38.
2. حسن حافظ علوي: المرجع السابق، ص 315.
3. إبن حوقل: المصدر السابق، ص 90.
4. البكري: المصدر السابق، ص 148.
5. مؤلف مجهول: **الإستبصار**، المصدر السابق، ص 201.
6. شنايت العيفة: المرجع السابق، ص 120.
7. **لَمْلَم**: هي مدينة صغيرة كالقرية الجامعة لا سور لها وهي على تل تراب أحمر منيع في إقليم السودان، انظر: الإدريسي: المصدر السابق، ص 05.

لم يصلهم شيء من الفواكه الرطبة إلا ما يجلب إليها من التمر من بلاد سجلماسة[1]، كما أثنى على تمرها الرحالة المغربي إبن بطوطة الذي زار سجلماسة أثناء رحلته إلى بلاد السودان الغربي فقال: "بها التمر الكثير الطيب وتشبهها مدينة البصرة في كثرة التمر لكن تمر سجلماسة أطيب وصنف إيران منه لا نظير له في البلاد[2].

- **المنتوجات الأخرى:** يذكر الجغرافيون العرب أن سجلماسة كانت هناك بساتين جميلة وكانت مقسمة لأحواض ترويها مياه الوادي بفرعيه الشرقي والغربي، وهي التي تمد السكان المدينة بأنواع الخضر والثمار المختلفة وقد إشتهر منها العنب والزبيب المعرش[3]، حيث نجد البكري يثني عليه بقوله: "... ومن كثرة الأعناب، وجميع الفواكه، وزبيب عنبها المعرش الذي تناله الشمس منه لا يجفف إلا في ظل"[4]، كما كانت بسجلماسة أيضا أنواع أخرى من من الفواكه والثمار كالرمان والزيتون، ويزرعون أيضا القطن والكمون والكراوية والحناء التي يصدرونها إلى سائر بلاد المغرب الإسلامي[5].

أما فيما يتعلق بنظام الري أو السقي فقد إستخدم الفلاح السجلماسي نظام شبيه لما كان في حوض النيل وبلاد آسيا، لأن الإنتاج الزراعي يحتاج إلى وفرة المياه للسقي وتخصيب التربة، لذا تم تقسيم الأراضي الزراعية إلى أحواض تغمرها مياه النهر بفرعيه كما إستخدموا الناعورات لرفع الماء من الآبار والأنهار والتي يسيرها الدولاب وكذلك الشادوف أو الجادوف الذي يستخدم في رفع الماء من النهر إلى الحقول[6].

---

1. حسن حافظ علوي: المرجع السابق، ص 320.
2. إبن بطوطة (ت779هـ/1377م): **رحلة إبن بطوطة (تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار)**، تح: الشيخ عبد المنعم العريان، مر: مصطفى القصاص، ج.2، دار إحياء العلوم، بيروت، 1408هـ/1987م، ص 713.
3. الحبيب الجنحاني: **الحياة الإقتصادية والإجتماعية في سجلماسة عاصمة بني مدرار**، المرجع السابق، ص 141.
4. البكري: المصدر السابق، ص 148.
5. أبو هريرة عبد الله محمود يعقوب: المرجع السابق، ص 103.
6. المرجع نفسه: ص 105.

- **الرعي:** تعاني مدينة سجلماسة من نقص في الفضاء النباتي نتيجة قساوة مناخها وجفافه في أغلب فصول السنة، فقد كانت النباتات التي تنمو بها بدء التساقط تتوقف عن علو محدود، وبطبيعة الحال كان لقلة الغطاء النباتي في مناطق سجلماسة أثره في ظهور نوعين من أشكال تربية الماشية[1]:

- نوع يقوم على الترحال بقطعان كبيرة من الإبل والغنم والماعز.

- النوع الثاني يقوم على العلف يمارسه سكان القصور الذين تتعدى ماشيتهم بعض الرؤوس من الغنم والبقر"[2]، هذا نظرا لحاجة السكان الملحة للإنتاج الحيواني من حليب ومشتقاته ولحوم على إختلاف أنواعها وصوف ووبر لأنها كانت تستخدم كثيرا من المنتوجات التي ساهمت في تنشيط التجارة ما شجعهم على إمتلاك أعداد كبيرة من الإبل والأغنام وقد أشار البكري في حديثه عن الطريق بين مدينة فاس إلى سجلماسة عن أثواب تصنع من الصوف[3]، كما لا ننسى مساهمة إنتعاش واحاتها بالمواشي في إختيار مكان تأسيسها، هذا إن صحت الرواية التي تذكر أن أبا القاسم سمعو، كان صاحب ماشية ينتجع بها إلى براح سجلماسة قبل تأسيس المدينة.

2. **الصناعة:** إن التطور الصناعي والحرفي مرتبط بالتقدم العمراني فالعمران البدوي يحتاج الصناعة البسيطة فقط والتي تتماشى مع ظروفها وصد إحتياجاتها من الصناعات الضرورية كالتجارة والحدادة، بينما يؤدي العمران الحضري إلى إزدهار وتقدم الحرف والصناعات حيث تسود المجتمع حياة الترف والرفاهية[4].

وفيما يخص سجلماسة فقد صاحب تقدمها وتطورها العمراني في نهاية القرن الثاني الهجري حيث أصبحت المدينة مركزا تجاريا هاما، مما أدى إلى ظهور أنواع من الحرف

1. حسن حافظ علوي: المرجع السابق، ص ص 333-334.
2. البكري: المصدر السابق، ص ص 146-148.
3. الحبيب الجنحاني: **الحياة الإقتصادية والإجتماعية في سجلماسة عاصمة بني مدرار**، المرجع السابق، ص 142.
4. الحبيب الجنحاني: **المجتمع العربي الإسلامي/ الحياة الإقتصادية والإجتماعية**، المرجع السابق، ص 371.

والصناعات، أبرزها صناعة النسيج والصوف، التي أنتجت أنواعا مختلفة من الملابس الجيدة، والتي ذاع صيتها في المشرق والمغرب والأندلس، ويعبر البكري عن جودة اللباس السجلماسي قائلا: "هو بلد يحسن فيه الغنم... وصوفها من أجود الأصواف، ويعمل منه بسجلماسة ثياب يبلغ الثوب منها أزيد من عشرين مثقالا"[1].

كذلك نجد أن النساء السجلماسيات قد تميزت مهارتها في صناعة المنتوجات حيث يرى ياقوت الحموي أن لنسائهم يد صنَّاع في غزل الصوف فهن يعملن منه كل حسن عجيب بديع من الأُزر تفوق القصب الذي كان بمصر، ويبلغ ثمن الأزار خمسة وثلاثين دينارا وأكثر[2].

إلى جانب هذه الحرف إشتهرت سجلماسة أيضا بصناعة الأواني الخشبية المستخرجة من أشجار يعرف بإسم الموضع الذي ينبت فيه أي (تامجاثت) ويصف البكري هذا قائلا: "وهو شجر يعظم ورقة هدب كورق الطرفاء، ومنه آنية سجلماسة ودرعة، وما والاهما"[3].

بالإضافة إلى هذه الصناعات كانت هناك بعض الصناعات المعدنية والمرتبطة خصوصا بوفرة الذهب المجلوب إلى سجلماسة من بلاد السودان، الذي أدى إلى إزدهار صناعة الحلي، وأيضا نجد بسجلماسة صناعة الحديد التي إشتهر به أمراء بني مدرار والذي كانت تصنع منه الأدوات الحربية وذلك راجع لما واجهه أصحاب مذهب الصفرية وغيرهم من حروب وصراعات مع العلم أن جد حكام بني مدرار كان حدادا برع في صناعة أجود السيوف، وقاموا أيضا بضرب السكة بمعدن الفضة[4].

---

1. البكري: المصدر السابق، ص 149، **والمثقال:** هو إسم لما له ثقل صغر أو كبر وهو أيضا إسم النسيج التي يوزن بها، ثم أصبح إسما للدينار لأن وزن الدينار الإسلامي أول ما ضرب كان مثقالا، وهو الآن يساوي 5,088 جرام، انظر: محمد عمارة: **المصطلحات الاقتصادية في الحضارة الإسلامية**، دار الشروق، بيروت، 1413هـ/1993م. ص 511.
2. ياقوت الحموي: مج.3، المصدر السابق، ص 192.
3. البكري: المصدر السابق، ص 156.
4. أنظر: الحميري: المصدر السابق، ص 46، القلقشندي: المصدر السابق، ص 164.

كما نجد أن أهل سجلماسة عرفوا الصناعات الغذائية حيث قاموا بصناعة الحلوى بالعسل والزيت، وصناعة السكر، وأستخدم السمسم في صناعة الأدوية الطبية والذي يتم عصره لكثرة الزيت[1].

3. **التجارة:** لعب النشاط التجاري في دولة بني مدرار دور هام في مجالها الإقتصادي، وكان هذا النشاط نتيجة الإهتمام بالزراعة والصناعة والحرف، حتى تمكنت بفضلهم سجلماسة أن تكون ذات نشاط تجاري واسع داخل بلاد المغرب وخارجها، لتوسطها الطرق التجارية بين بلاد المغرب والصحراء الكبرى وهمزة وصل بين المغرب والأندلس، والمشرق الإسلامي والغرب الأوروبي[2]، فسجلماسة سكنها أهل العراق والبصرة وبغداد والكوفة ويرجع السبب في ذلك إلى خيراتها الكثيرة وأنها مركز لتجارة الذهب، حيث أن التجارة بين سجلماسة وهذه المناطق أدى إلى إنتشار الإسلام بها، فقد كان التجار يقومون بنشره أثناء معاملاتهم التجارية[3].

وأعتبرت سجلماسة مركزا تجاريا عالميا في العصر الوسيط، فالتجارة كانت مصدر الثروة التي تمتعت بها المدينة، خاصة الثروة المعدنية (الذهب) الذي سيطرت عليه فئة التجار، وقد أشار ياقوت الحموي لهذا قائلا: "وأهل هذه المدينة من أغنى الناس وأكثرهم مالا، لأنها على طريق من يريد غانة التي هي معدن الذهب ولأهلها جرأة على دخولها"[4].

3-1- المسالك والطرق التجارية الرابطة بين سجلماسة والمدن المغربية:

3-1-1. طريق سجلماسة- فاس:

تتطلب الرحلة من سجلماسة نحو فاس ثمانية أيام عبر الطريق المباشر الذي يتبع وادي زيز، بينما يتطلب إحدى عشر وإثني عشر يوما عبر الطريق الذي يمر عبر تالسينت

1. وفاء يعقوب جبريل برناوي: المرجع السابق، ص 93.
2. محمود إسماعيل عبد الرزاق: المرجع السابق، ص 272.
3. وفاء يعقوب جبريل برناوي: المرجع السابق، ص 94.
4. ياقوت الحموي: ج.3، المصدر السابق، ص 192.

ومطماطة أمسكور[1]، **(الملحق 06)**، وتحدث البكري عن هذا الطريق حيث نجده يقول: "من مدينة فاس إلى مدينة **صفروى**[2] مرحلة، وهي مدينة ميسورة ذات أنهار وأشجار ومنها إلى الأصنام مرحلة ومنها إلى موضع يقال له ألمزي مرحلة وهو بلد مكلاتة، ومنها إلى تاسغموت مرحلة وهي قرية على نهر، ومنها إلى موضع يقال له أمغاك مرحلة كبيرة نحو الستين ميلا ومنها تدخل في عمل سجلماسة بين أنهار وثمار ثلاثة مراحل إلى مدينة سجلماسة"[3].

قدر إبن حوقل طول هذا الطريق بثلاثة عشرة مرحلة[4]، ولم يقدم أي تفاصيل عن كيفية التنقل فيه أو ما يصادف القافلة في الطريق، أما الإدريسي فوصف لنا هذا الطريق قائلا: "الطريق على صفروى إلى قلعة مهدي إلى تادلة إلى داي إلى شعب الصفا ويشق الجبل الكبير إلى جنوبه ومن هناك إلى سجلماسة، وقدر بثلاث عشرة مرحلة"[5]، في حين قدره أبو الفدا بأنه يستغرق عشرة أيام[6].

3-1-2. طريق سجلماسة- تيهرت:

إرتبطت تيهرت بسجلماسة بطريق يسلك من القبلة والغرب نحو مدينة تعرف بأوزكا وهي على ثلاث مراحل من تيهرت ثم يتجه السالك نحو الغرب إلى سجلماسة بحوالي سبع مراحل، وكانت القوافل التجارية الرستمية تعبر سجلماسة بواسطة هذا الطريق أو تستقر فيها

1. حسن حافظ علوي: المرجع السابق، ص 360.
2. **صفروى**: مدينة صغيرة متحضرة فيها أسواق وأكثر أهلها فلاحون وزروعهم كثيفة ولهم جمل ومواشي وأنعام ومياههم عذبة غدقة، أنظر؛ الإدريسي: المصدر السابق، ص 50.
3. البكري: المصدر السابق، ص 147.
4. إبن حوقل: المصدر السابق، ص 51.
5. أنظر: الإدريسي: المصدر السابق، ص 51، الحميري: المصدر السابق، ص 434.
6. أبو الفداء: المصدر السابق، ص 123.

وتحمل أنواع المنتوجات الزراعية والتجارية من هذه المدينة من بين هذه المنتوجات الكمون والكراويا والحناء[1].

3-1-3. طريق سجلماسة- أغمات:

قدر إبن حوقل مسافة هذا الطريق قائلا: "ومن سجلماسة إلى أغمات نحو ثماني مراحل"[2]، لكن البكري وصف الطريق وصفا دقيقا حيث جاء عنده "من سجلماسة إلى تيجمامين يومان... ومن تيجمامين إلى وادي درعة يومان... ومن درعة إلى موضع يقال له ورزارات يومان وهو بلد مسكورة وتمشي في بلد مسكورة أربعة أيام إلى منازل قبيل يقال له مزرجة وهناك جبل يقال له مزرجة... ومن هناك مسافة يوم إلى أغمات"[3].

رابعا: الأوضاع الإجتماعية والعمرانية.

1- الأوضاع الاجتماعية:

أ/ **عناصر السكان:** أدت المكانة التي حضيت بها سجلماسة بعد قيام دولة بني مدرار إلى نزوح العديد من القبائل المختلفة لهذه المدينة، فتعددت عناصر سكانها سنوضح ذلك في الآتي:

- **البربر (الأمازيغ):** ضمت مدينة سجلماسة عددا من قبائل صفرية المغرب (بتر- برانس، مكناسة وزناتة، صنهاجة، زويلة، مسوفة، لمتونة) و إتتسع ويزداد عمرانها ما أدى إلى توافد العديد من القبائل الأخرى التي تقيم في وادي ملوية ونواحي **تازا**[4] والمغرب الأقصى[5].

---

1. شنايت العيفة: المرجع السابق، ص 140.
2. محمد عيسى الحريري: المرجع السابق، ص 206.
3. البكري: المصدر السابق، ص ص 152-153.
4. **تازا:** من بلاد المغرب أول بلاد حد ما بين المغرب الأوسط وبلاد المغرب في الطول، وفي العرض البلاد الساحلية مثل وهران ومليلة وغيرهما، وبني فيها مدينة الرباط، وهي فسحة من نحو ستة أميال ما بين جبال تصب منها مياه كثيرة تسقي جميع بساتينها وهي على الطريق المار من المغرب إلى المشرق وتسمى مكناسة تازا، أنظر: الحميري: المصدر السابق، ص 128.
5. محمود إسماعيل عبد الرزاق: المرجع السابق، ص 288.

- **العرب:** ترجع بداية إستقرار العناصر العربية بسجلماسة إلى فتوحات عقبة بن نافع وموسى بن نصير، في النصف الثاني من القرن الأول للهجرة/السابع للميلاد، حيث كانوا في شكل جنود للإسلام، ومنهم من وفدوا فرادى كالتجار والعلماء من بغداد والكوفة والبصرة وبلاد الحجاز[1]، وكانت قوافل التجار تجوب بالمغرب إلى سجلماسة هو وألادهم، ولهم تجارة رائجة في البلاد سعيا للكسب والأرباح[2].

- **السودانون:** هم الذين ساهموا إلى جانب البربر في بناء سجلماسة بالإضافة إلى مساهمتهم في نشر الدين الإسلامي بين شعب السودان وما جاورها، ولجوء بني مدرار لهذا العنصر دليل على قوته وكثرته[3]. وقد أدى إنتشارهم وإعتناقهم للمذهب الصفري إلى توليهم مناصب سياسية، الأول هو عبد الأعلى جريح الذي حكم طنجة بأمر من ميسرة المطغري، ومن ثم ولي القاسم سمكو عيسى بن يزيد الأسود زعامة بني مدرار[4].

- **أقليات أخرى:** تمثلت في عنصر أهل الذمة، إختلطوا بالسكان الأصليين شاركوهم عاداتهم وتقاليدهم وحتى اللغة إلا أن ديانتهم لم تنتشر داخل قبائل البربر، وكان غالبيتهم من التجار ويعملون في صناعة الذهب والفضة، وكان لهذه الفئة داخل مجتمع سجلماسة دور في تنشيط الحياة الإقتصادية التي أدت بدورها إلى إزدهار الحياة الإجتماعية، كما ساهمت هذه الأقليات في تشكيل المجتمع السجلماسي لم يمارسوا الحياة السياسية لكن تمتعوا بحقوقهم كمواطنين عاديين[5].

ب/ الترف الإجتماعي: وعن مظاهر الترف الإجتماعي الذي وصلت إليه سجلماسة إنتشار الحمامات التي وصفها لنا البكري، بأنها رديئة البناء، وغير محكمة العمل دون تحديد

1. لحسن تاوشيخت: **عمران سجلماسة دراسة تاريخية أثرية**، ج.1، المرجع السابق، ص 60.
2. إبن حوقل: المصدر السابق، ص 65.
3. وفاء يعقوب جبريل برناوي: المرجع االسابق، ص 130.
4. محمود إسماعيل عبد الرزاق: المرجع السابق، ص 288.
5. وفاء يعقوب جبريل برناوي: المرجع السابق، ص 132.

عددها، وكذلك وفرة الرقيق لأنه كان البضاعة الأساسية إلى جانب الذهب في العلاقات التجارية للمدينة مع بلاد السودان، وغانة... الخ[1].

ضف إلى ذلك إشتهار الجواري بالطبخ، يتحدث عن هذا الحميري قائلا: "ويجلب منها سودانيات طباخات محسنات تباع الواحدة منهن بمائة دينار كبار وأزيد لحسن عمل الأطعمة الطيبة... مثل الجوزينيات، واللوزينيات والقاهرات، والكنافات والقطائف والمشهدات... ولا يوجد أحذق بصنعتها منهن"[2].

في الأخير نخلص إلى القول بأن أوضاع سجلماسة قد إزدهرت بشكل كبير عما كانت عليه بداية تأسيس الدولة، حتى أصبح هناك فرق شاسع بين حياة البداوة التي كانت عليها وحياة المدينة التي إرتقت إليها، وقد أثرت فيها الأحوال التجارية بشكل عام، ووفود فئات وأجناس مختلفة للإستقرار بها، إلا أنها فقدت مكانتها الإجتماعية والإقتصادية نهاية القرن الرابع الهجري لكثرة الفتن والقلاقل وتدهورها الإقتصادي أدى إلى فقدانها لقوتها العسكرية والترف الذي وصل إليه أهلها أدى إلى تراجعها ولعل هذا يؤكد رأي إبن خلدون عندما تحدث عن خراب المدن الإسلامية.

2- المنشآت العمرانية: بالنسبة لتجسيد معالم العمارة الإسلامية في مدينة سجلماسة فالمعلومات في هذا الجانب ضئيلة وما يمكن عرضه مجرد إشارات سنحاول من خلالها إبراز النشاط المعماري للمدينة والذي يمكن تقسيمه إلى ثلاثة أشكال معمارية، دينية ومدنية وعسكرية.

أ/ العمارة الدينية والجنائزية: كان للمدينة مسجدها الجامع وهو أول ما يتم إختطاطه في المراكز العمرانية الإسلامية والذي يختص بموضعه وسط المدينة ويحتفظ بمكوناته الأساسية لعدة قرون، والمسجد السجلماسي لم يخرج عن الأسس العامة لتخطيط مسجد

1. البكري: المصدر السابق، ص 186.
2. الحميري: المصدر السابق، ص 54.

القيروان حيث إتخذه المسلمون في بلاد المغرب أنموذجا لبقية المساجد في البلاد المفتوحة[1]، فكانت مساجدهم تتكون من صحن داخلي واسع تحف به البوائك وفي وسطه سقيفة وتكسو جدران الأروقة بالفسيفساء أحيانا ولا يستبعد أن أهل سجلماسة قد نقلوا هذا الطراز إلى مساجدهم فقد وصفها الحسن الوزان بأنها كانت جميلة في قوله: "كانت سجلماسة مدينة متحضرة جدا وفيها مساجد جميلة"[2]، وقال عنها البكري: "وجامعها مثقف البناء بناه اليسع فأجاد"[3]. **(الملحق 07)**

كما إتخذ أهلها مئذنة القيروان أنموذجا لمآذنهم حيث عم في بلاد المغرب استعمال طراز المآذن المربعة وقد ظلت المئذنة تسمى صومعة في بلاد المغرب الإسلامي حتى الآن، وكانوا يسمونها في بعض الأحيان "عسّاس" بمعنى مكان للمراقبة، هذا يدل على أن المآذن لم تكن تستخدم للآذن فحسب بل كانت تستعمل للكشف والمراقبة في بعض الأحيان[4].

بالنسبة للعمارة الجنائزية تمثلت في المقابر التي غالبا ما تشيد في المدن الإسلامية خارج الأسوار وخاصة قرب السور الخارجي وكانت لكل طائفة من السكان مقبرتها الخاصة وفي دراستنا العمرانية لمدينة سجلماسة وجدنا شح كبير في المعطيات التاريخية والعمرانية حول مقابر سجلماسة وأضرحتها، إلا مازودنا به لحسن تاوشيخت عن وجود مقابر إسلامية ويهودية[5]. **(الملحق 08)**

1. أبو هريرة عبد الله محمود يعقوب: المرجع السابق، ص 94.
2. الحسن الوزان: **وصف إفريقيا**، ج.2، تر: محمد حجي ومحمد الأخضر، ط.2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983، ص 127.
3. البكري: المصدر السابق، ص 148.
4. زكي محمد حسن: **فنون الإسلام**، دار الفكر العربي، (د.ب)، (د.ت)، ص 127.
5. لحسن تاوشيخت: **عمران سجلماسة دراسة تاريخية وأثرية**، ج.2، المرجع السابق، ص 381.

ب/ العمارة المدنية: تمثلت في دار الإمارة والتي كانت تتخذ كعواصم ومقرا للحكم في المدن الإسلامية وقد بنيت دار الإمارة بمدينة سجلماسة منذ تأسيسها على يد عيسى بن يزيد الأسود[1]، بهذا تحولت سجلماسة إلى مركز عمراني وأصبحت مدينة متسعة الأطراف ومركز تجاري هام، فشرع أهلها في تخطيطهم للطرق وشوارع المدينة[2]، وكانت متصلة بالمسجد ودار الإمارة لتسهيل أداء الفرائض والاتصال بمقر الحكم كما أحيطت المدينة بسور عال لتحصينها لأنها كانت في قلب صحراء ولم تكن لها تحصينات طبيعية ويشير البكري في حديثه عن تحصين سجلماسة: "وسورها أسفله مبني بالحجارة وأعلاه بالطوب بناه اليسع أبو منصور بن أبي القاسم من ماله لم يشركه في الإنفاق عليه أحد وله إثنا عشر باب الثمانية منها حديد"[3]، لم يبقى من سور سجلماسة إلا جزء بسيط قائم إلى يومنا هذا **(الملحق09)** ويذكر إبن سعيد: "من حيث خرجت من هذه الأبواب ترى النهر والنخيل وغير ذلك من الشجر"[4].

بالإضافة إلى سور المدينة فقد قسمت إلى خطط سكنية حيث إتخذت كل قبيلة خطة في تقسيم الأرض بينهم وجعل لها حدود للتهيئة العمرانية، يشير إلى هذا القلقشندي في إطار حديثه عن العمارة بسجلماسة وأنها ذات منازل رفيعة وعمارات متصلة، في قوله: "أصبحت المدينة محاطة بالعمائر من كل جانب فأصبحت متسعة الأرجاء ذات أحياء كثيرة"[5].

1. لحسن تاوشيخت: **عمران سجلماسة دراسة تاريخية وأثرية**، ج.2، المرجع السابق: ص 373.
2. الحبيب الجنحاني: **المغرب الإسلامي الحياة الإقتصادية والإجتماعية**، المرجع السابق، ص ص 154-155.
3. البكري: المصدر السابق، ص 148.
4. أبي الحسن علي بن موسى بن سعيد المغربي(ت685هـ/1299م): **كتاب الجغرافيا**، تح: إسماعيل العربي منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1970، ص 164.
5. القلقشندي: ج 5، المصدر السابق، ص 164.

هذا وقد شملت العمارة المدينة في سجلماسة بناء القصور والمنازل المرتفعة حيث تذكر الروايات التاريخية أن بالمدينة ما يقرب الثلاثمائة قصرا ما بين متوسط وكبير أهلها قصر الإمارة الذي حوى مقر الحكم أي دار الإمارة، والدواوين المختلفة[1]. **(الملحق 10)**

كما عرفت المدينة نقلة نوعية من المدينة إلى القصور، فتعددت بها القصور العالية نذكر منها[2]:

- **قصر تَنْجِيُوت:** وهو أقرب القصور للعاصمة المدرارية، حيث قدر عدد سكانه بحوالي ألف شخص، وبه بعض الصناع **(الملحق 11)**.

- **قصر المأمون:** وهو أيضا كبير وحصين، كثير السكان خاصة التجار اليهود والمسلمين. وكان يدير شؤون كل قصر من هذه القصور أمير خاص لأنه كانت كثيرا ما تنتسب بين هؤلاء السكان الخصومات والمنازعات يسيء بعضهم لبعض ما إستطاع.

- **قصر تَبُعْصَامَت**[3] وهو على بعد نحو ثمانية أميال جنوبي القصر السابق وهو أكبر منه وأكثر حضارة، فيه عدد كبير من التجار الأجانب ومنهم اليهود الذين يشتغلون بالصناعة والتجارة[4]. **(الملحق 12)**

ما يمكن الوصول إليه في هذا الجانب فإن المسجد السجلماسي كان يراعي فيه أن يكون في وسط العمران وأن تكون مساحته واسعة، وتربط شبكة طرقات تصل بين المرافق الأساسية والمرافق الخاصة داخل المدينة، ووفقا لما جاءت به الكتابات التاريخية حول العمارة المدنية والدينية للمدينة فإنها قليلة، ووفقا للظروف التاريخية التي أدت بها للإنتقال

1. أبو هريرة عبد الله محمود يعقوب: المرجع السابق، ص 94.

2. الحسن الوزان: المصدر السابق، ص-ص 125-126.

3. **قصر تَبُعْصَامَت:** لا زال القصر باقيا على ضفة زيز اليمنى، على بعد نحو 5كلم من أنقاض سجلماسة في الضفة اليمنى كان بمثابة المركز التجاري والحرفي ودارا لضرب السكة، أنظر: لحسن تاوشيخت: **سجلماسة من المدينة إلى القصور**، في مجلة عصور الجديدة، ع.14-15، جامعة وهران، الجزائر، 1435هـ/2014م، ص ص 140-161، ص 144.

4. Meunié jacques: sur L'architectur du Tafilalet et de sijilmassa (Maroc saharien), in: comptes rendus des séances de l'académie des inscription et Belles-Lattres, 106e année, N.2, 1962, p p 132-147, p139.

من المدينة إلى القصور، فإنها كانت مقسمة إلى أحياء سكنية ومنازل وقصور عديدة تتنوع حسب تنظيم الشوارع والأزقة، والإنتماء القبلي والمكانة الإقتصادية والإجتماعية فالقصور مثلا تميزت بالإرتفاع والمتانة والزخرفات وهذا يعود إلى الترف الذي نعم به التجار اليهود الذين كانوا يسكنونها بأعداد كبيرة.

جـ/ العمارة العسكرية: شملت العمارة العسكرية في سجلماسة مجموعة من الحصون والقلاع والأربطة وكان بالمدينة عدد من الحصون وذلك إستنادا لما أشار إليه المقدسي حين قال: "وسطها حصن يسمى العسكر فيه الجامع ودار الإمارة"[1]، وكانت المدينة عامرة بالسكان متسعة الأطراف تتألف من حصون منيعة أهمها حصن تاسجدالت الذي يبعد عن المدينة حوالي إثني عشر ميلا وفيه مياه كثيرة[2].

هذا بالنسبة للحصون كما نجد الأبواب أيضا والتي أختلف تاريخيا في عدد أبواب مدينة سجلماسة، إلا انها كانت موزعة على كل الإتجاهات حتى تسهل عملية دخول وخروج القوافل التجارية نحو مقاصدها، وكان يطلق على أبواب سجلماسة بأسماء المناطق المطلة عليها أو النشاط الذي كان يمارس فيها، ويعتبر المقدسي هو الوحيد الذي أورد لنا أسماء بعض أبواب سجلماسة في قوله: "أن بسجلماسة الباب القبلي والباب الغربي وباب غدير وباب الجزارين وباب موقف زناتة وغيرها"[3].

كذلك نجد الرباطات والتي كان العرب المسلمون بعد أن فتحوا بلاد المغرب يرابطون فيهم من أجل حماية جيوشهم، خاصة وأن سواحل بلاد المغرب كانت عرضة للغارات البيزنطية، وقد كثرت وتعدد في بلاد المغرب، وقد إنتشرت الربط في المغرب الأقصى من السواحل وصولا إلى المحيط الأطلسي، كما وجدت في قلب بلاد السوس إلى أن وصلت

1. المقدسي: المصدر السابق، ص231.
2. الحبيب الجنحاني: **المغرب الإسلامي الحياة الإقتصادية والإجتماعية**، المرجع السابق، ص 151.
3. المقدسي: المصدر السابق، ص 231.

أطراف الصحراء، والذي علينا الإشارة إليه هو الرباطات التي إنتشرت في سجماسة هي كالآتي[1]:

- رباط تاسماطت جهة أغمات.
- رباط حَكم ببلاد السراغنة من هسكورة.
- رباط بيد الجدي في هسكورة.
- رباط أوجدام في بلدة ركونة.
- رباط تانوطيهر في بلدة دكالة.

1. أبو هريرة عبد الله محمود يعقوب: المرجع السابق، ص 98.

خلاصة:

نستخلص من هذا الفصل أن مدينة سجلماسة في المغرب الأقصى هي ثاني مدينة يتم تشييدها بعد مدينة القيروان في المغرب الأدنى ساهم موقعها الجغرافي في قلب واحة تافيلالت في تجسيد معالم عمارة المدن الإسلامية بها، بالإضافة إلى مناخها القاسي الذي جعل مختطوها يتعاملون معه بشكل خاص في الخطط السكنية، ونتيجة لقيام الدولة المدرارية بها سنة 140هـ/757م، وإستقلالها بكيانها السياسي عن الخلافة العباسية في المشرق تعاقب على حكمها العديد من الأئمة الذين بذلوا جهدهم في النهوض بالمدينة وتخطيطها، وأقاموا علاقات سياسية وإقتصادية منها ماإتخذ طابع العداء ومنها ما كان ميزه الود والتعاون المتبادل، إنتعشت مدينة سجلماسة إقتصاديا بفضل نشاطاتها المتنوعة من زراعة وصناعة وتجارة، وعن الحياة الإجتماعية بها فقد تمثلت في إستقطابها لأجناس مختلفة أدت إلى تنوع في تركيبتها السكانية، ضف إلى ذلك تنوع عمارتها بين، دينية ومدنية وعسكرية.

خاتمة

خاتمة:

من خلال ما تم تقديمه في هذه الدراسة التي تناولت المراكز العمرانية في بلاد المغرب الإسلامي "مدينة سجلماسة أنموذجا" ومحاولتنا توضيح تأثير هذه المراكز على التطورات الحضارية التي عرفها المغرب الإسلامي في العصر الوسيط، توصلنا للنتائج التالية:

أن بلاد المغرب عرفت وجود العديد من المراكز العمرانية قبيل الفتح الإسلامي تعود للحضارات القديمة التي تعاقبت عليها حيث إتخذت كل منها مدن لها إختلفت بحسب الوظيفة والأسباب التي أدت إلى نشأتها فمنها التجارية والعسكرية ومن ثمة ظهرت المدن السياسية. هذا وقد وجدنا أن المشارقة قد أنكروا وجود المدن قبيل الفتح بالرغم من الآثار الباقية إلى يومنا هذا.

تميز العمارة الإسلامية التي نشأت بفضل الإسلام في مختلف الأقطار التي طالتها الفتوحات عن غيرها، بتخطيط متميز فإختلفت بذلك المدن الإسلامية عن تخطيط مدن الحضارات السابقة، لقيامها على أسس إسلامية ومعايير تخطيطية وفق قيم إسلامية بحتة فكان المسجد الجامع والسوق ودار الإمارة أهم مرتكزاتها.

كان لإختيار المسلمين لمواقع ومواضع مدنهم أهمية كبيرة في ظهور المدن في جميع أنحاء المغرب الإسلامي فظهرت بذلك المدن الصغرى والمتوسطة المجاورة لعواصم دولهم.

كان للأحكام الفقهية دور مهم في تنظيم المدن الإسلامية عامة من خلال مراعاة ما حددته الشريعة الإسلامية من منع الضرر والعرف الذي إتخذه المسلمون كقاعدة أساسية في أحكام البنيان، المحتسب دور هام في تنظيم الشوارع والقيام على نظافتها وتنظيم أسواق المدينة الإسلامية، وإتخاذ قرابة النسب وكل ما يتصل بها من حق الشفعة والإرث والملكية الجماعية كعناصر اساسية في إصدار أحكام العمران.

تطبيق معايير التحطيط العمراني الإسلامي ومختلف الشروط والأسس التي جاء بها منظوروا الفكر العمراني الإسلامي في الكثير من مدن المغرب الإسلامي كمدبنة القيروان في المغرب الأدنى ومدينة تيهرت في المغرب الأوسط،

خاتمة:

رغم أن المراكز العمرانية التي قامت ببلاد المغرب الإسلامي سواء كانت بكر أو على أنقاض مدن قديمة وما صاحبها من تطور وإزدهار في مختلف المجالات، إلّا أنها خربت نتيجة الخلافات السياسية والمذهبية التي تعرض لها المغرب الإسلامي والكوارث الطبيعية والأوبئة والمجاعات التي أدت إلى التخريب الكلي أو الجزئي للكثير من المدن.

توفرت في مدينة سجلماسة مختلف أسس عمارة المدن الإسلامية المتصلة بالحياة السياسية والإقتصادية والإجتماعية في إطار تطورها التاريخي والعمراني من المدينة إلى القصور فأصبحت بهذا محل العديد من الدراسات العربية والغربية خاصة من الناحية الأثرية.

في الأخير نستطيع أن نختم بقولنا أنه مع مجيء الفاتحين المسلمين عرف المغرب الإسلامي نشأة المراكز العمرانية التي جسدت معالم الحضارة الإسلامية، حيث نقل الفاتحين اهل المغرب من حياة البادية إلى حياة المدينة وثبتوهم على الدين الإسلامي وتحقيق التطور الحضاري والمعماري بأنماطه المختلفة بالإضافة إلى هذا فقد تم إحترام معالم العمارة الإسلامية في جل المراكز العمرانية التي ظهرت، كما كان للفقهاء الدور الفعّال في تحديد معايير وأحكام البنيان والعمران لتتماشى مع الدين الإسلامي والعرف والطبيعة الإجتماعية التي ميزت سكان المغرب.

كانت لهذه المراكز العمرانية أثر على التطورات الحضارية في بلاد المغرب الإسلامي في العصر الوسيط والتي تمثلت في قيام الدول المستقلة، حيث كانت القيروان قاعدة المسلمين في المغرب الأدنى وتيهرت عاصمة الرستميين في المغرب الأوسط، وسجلماسة عاصمة بني مدرار بالمغرب الأقصى.

كذلك ساهمت هذه المدن في تطور الحياة وإزدهار الأوضاع الإقتصادية بإقامتها من خلال الطرق التجارية الداخلية والخارجية كما ساهمت في إنتشار العلم والعلماء والوصول للترف الإجتماعي والبذخ، الذي ساهم بدوره في خراب المدن.

الملاحق

(الملحق 01)

شكل يوضح مقاييس الشوارع العامة بحسب إستعمال وسائل النقل

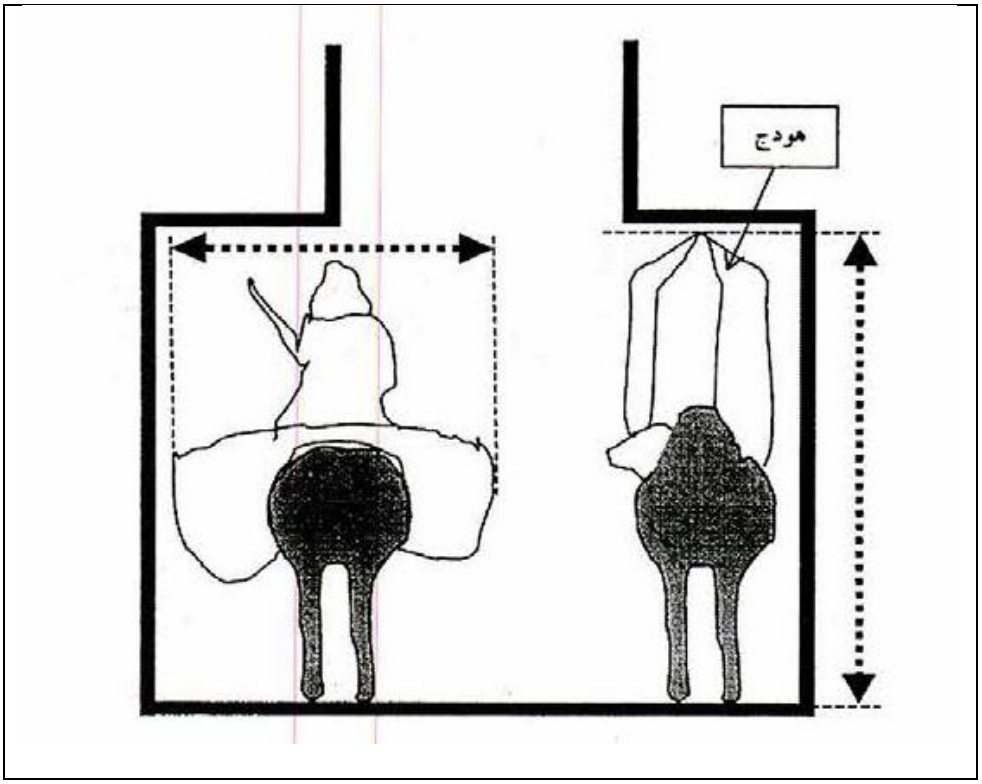

عن: مصطفى بن حموش: المرجع السابق، ص154.

(الملحق 02)

شكل يوضح إستعمال قامة الإنسان كمعيار لإرتفاع أسوار السطوح

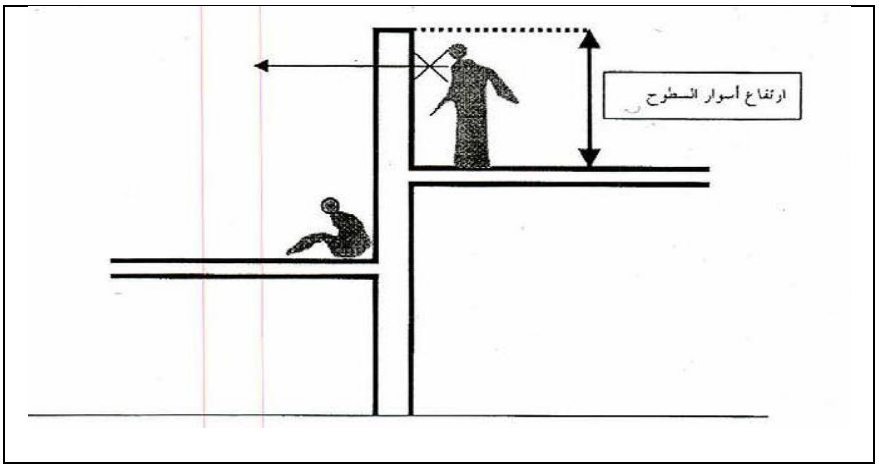

عن: مصطفى بن حموش: المرجع السابق، ص152.

(الملحق 03)

شكل يوضح منع استعمال منارة المسجد إذا كانت تطل على ما في البيوت

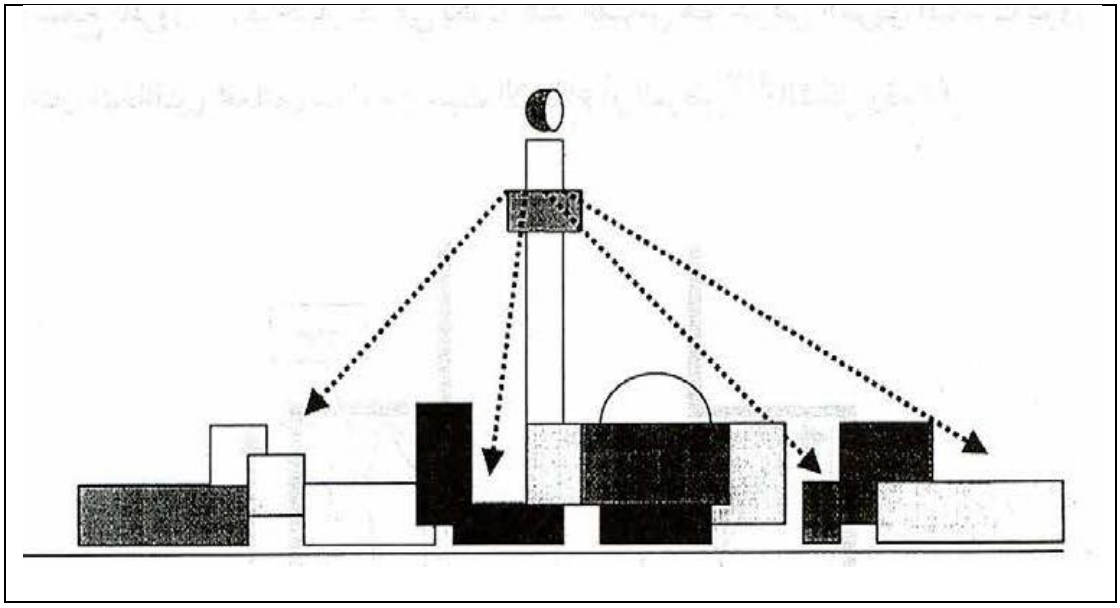

عن: مصطفى بن حموش: المرجع السابق، ص153.

(الملحق 04)

شكل يوضح التدرج الهرمي للشوارع وحرية التصرف.

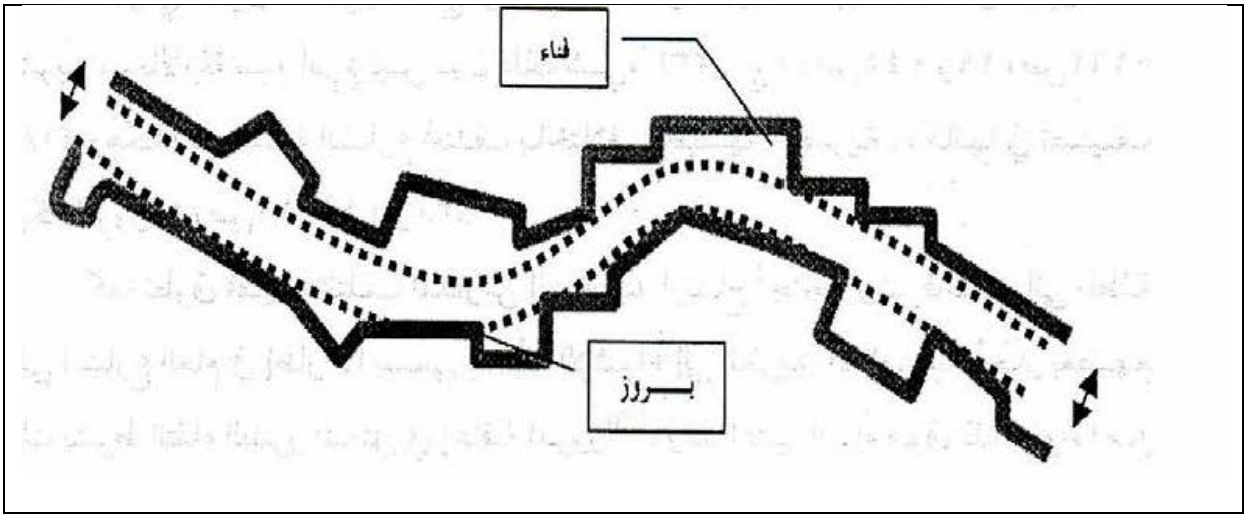

عن: مصطفى بن حموش: المرجع السابق، ص 156.

(الملحق 05)

شكل يوضح تخطيط مسجد القيروان

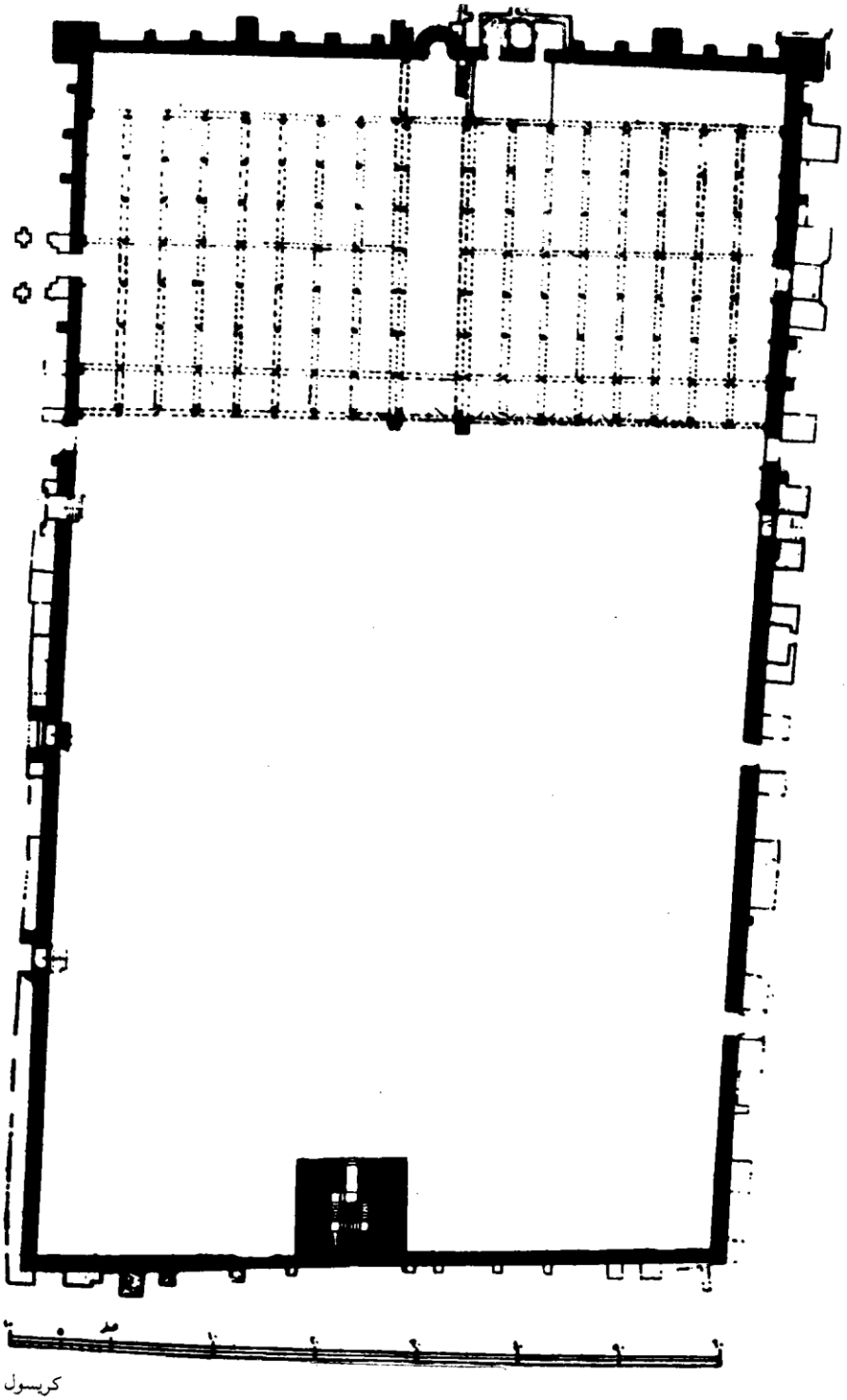

عن: فريد محمود شافعي: المرجع السابق، ص45.

(الملحق 06)

خريطة توضح الطرق التجارية لسجلماسة

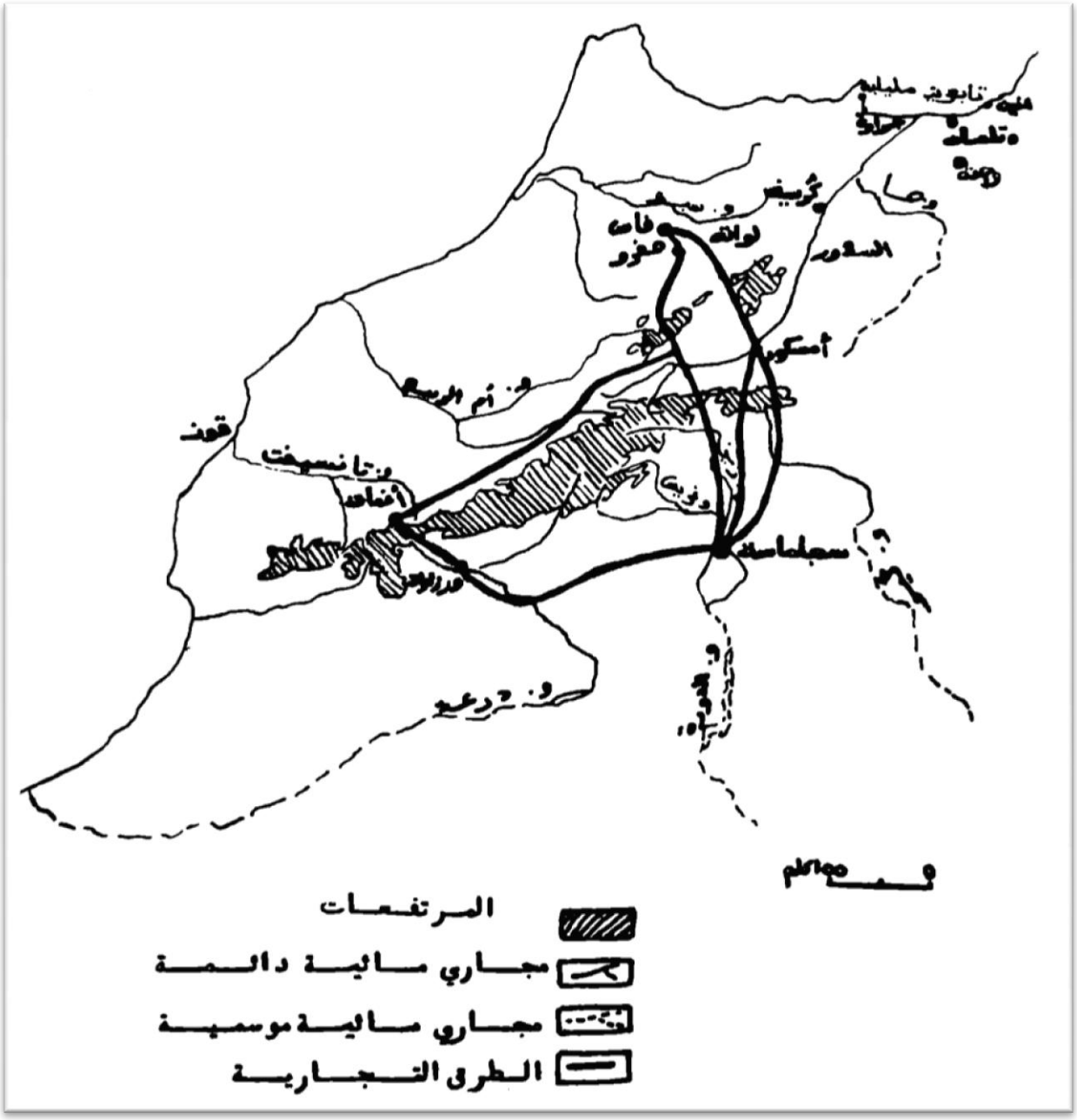

عن: حسن حافظ العلوي: المرجع السابق، ص467

(الملحق 07)

بقايا المسجد الجامع لسجلماسة

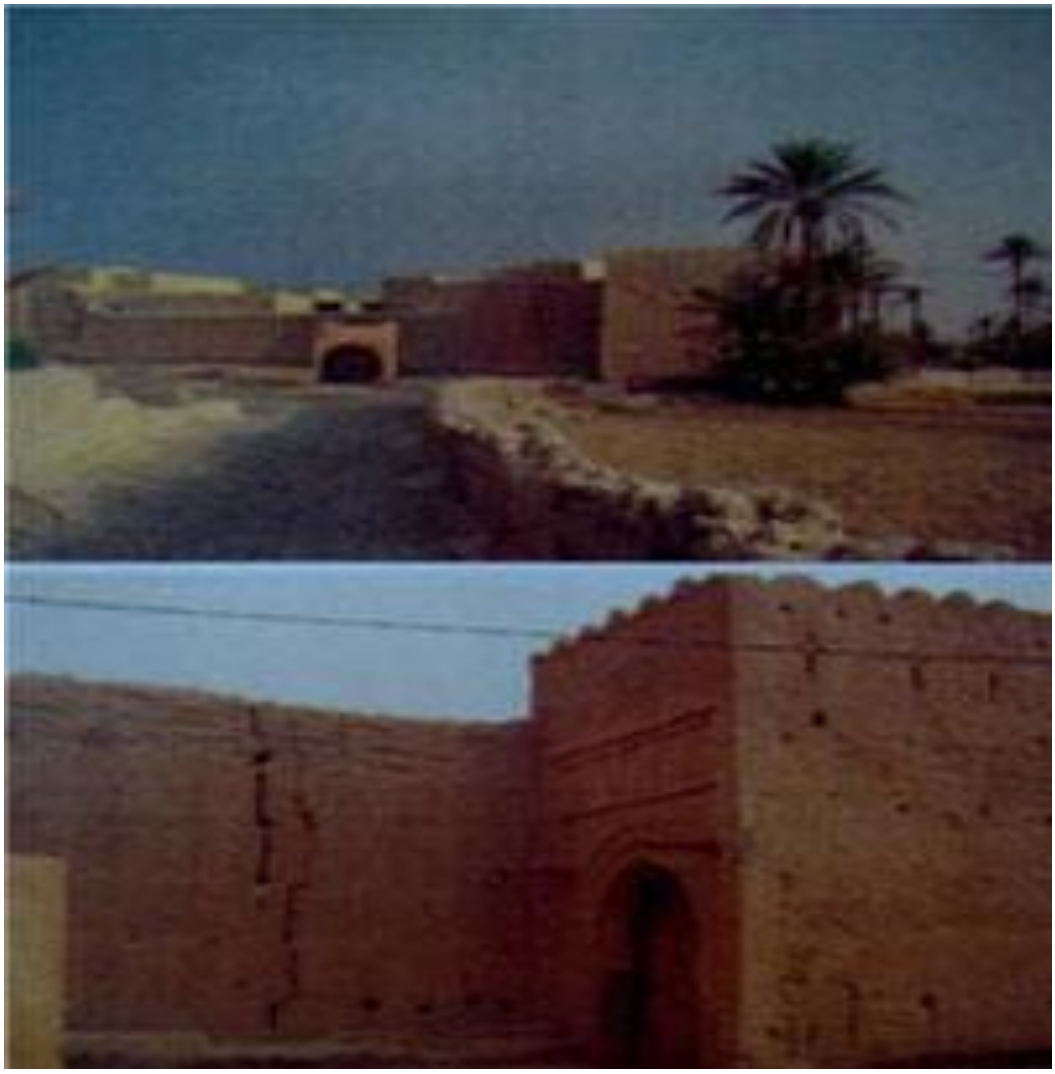

عن لحسن تاوشيخت: **عمران سجلماسة دراسة تاريخية وأثرية**، ج.2، المرجع السابق ص370.

(الملحق 08)

بقايا مقابر مدينة سجلماسة

عن: لحسن تاوشيخت: **عمران سجلماسة دراسة تاريخية وأثرية**، ج.2، ص 375.

(الملحق 09)

بقايا السور الخارجي لمدينة سجلماسة

عن لحسن تاوشيخت: **عمران سجلماسة دراسة تاريخية وأثرية**، ج.2، المرجع السابق، ص 390.

(الملحق 10)

خريطة توضح قصور مدينة سجلماسة

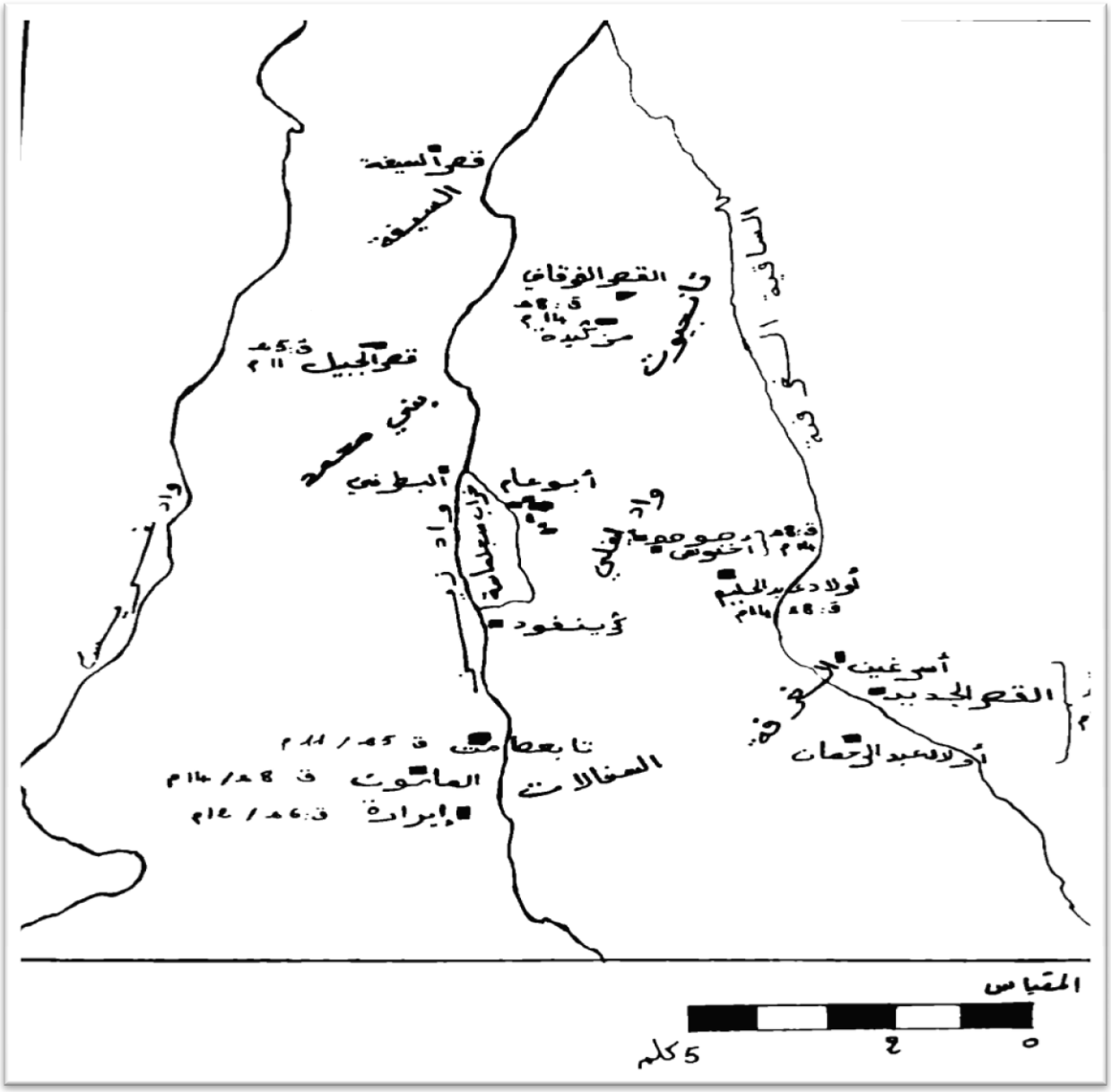

عن: حسن حافظ العلوي: المرجع السابق، ص 457.

(الملحق11)

قصر تَنِجْيُوت بمدينة سجلماسة

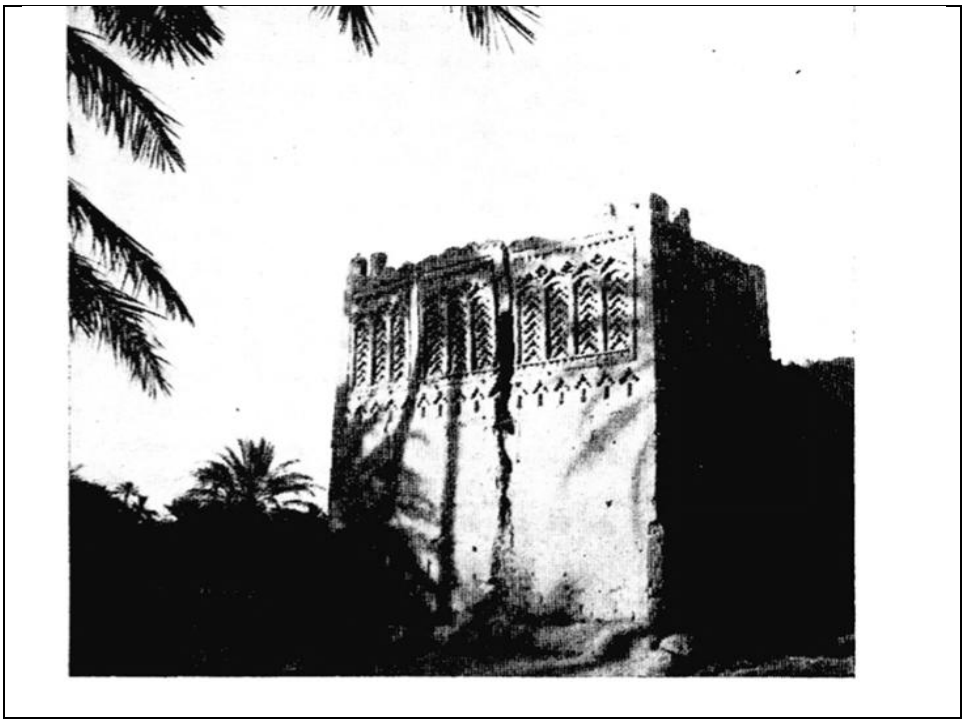

- Menié jacques : op cit, p 139.

(الملحق 12)

قصر تَبُوعصَامَت بمدينة سجلماسة

- Meunié jacques: op cit, p 140

قائمة المصادر والمراجع:

- **القرآن الكريم**

- إبن ماجة أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني(ت273هـ/886م): تح: محمد فؤاد عبد الباقي ، **صحيح سنن إبن ماجة**، ج.1، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، 1979.

- البخاري أبي عبد الله محمد بن إسماعيل: **صحيح البخاري**، دار إبن كثير، بيروت، 1423هـ/2002م.

- مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (676هـ/1279م): **صحيح مسلم**، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار التراث، بيروت. (د.ت).

أولا: المصادر

- إبن أبي الربيع شهاب الدين أحمد (ت272هـ/885م): **سلوك المالك في تدبير الممالك**، تح: عارف أحمد عبد الغني، دار الكنان، الرياض، 1418هـ.

- إبن أبي زرع أبو الحسن علي بن عبد الله (ت726هـ/1326م): **الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس**، تص: كارل بوحن نورنبرغ، طبع بمدينة أوبسالة، 1843.

- إبن الأثير أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني (ت630هـ/1232م): **الكامل في التاريخ**، تح: أبي الفداء عبد الله القاضي، ج.3؛4، دار الكتب العلمية، بيروت، 1408هـ/1987م.

- إبن الأزرق محمد بن علي بن محمد الأصبحي الأندلسي (899هـ/1493م): **بدائع السلك في طبائع الملك**، ج.2، تح: علي سامي النشار، مطبعة الحرية، بغداد، 1977.

- إبن الخطيب لسان الدين محمد بن عبد الله بن سعيد(ت779هـ/1377م): **تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط**، القسم الثالث من كتاب أعمال الأعلام، تح: محمد مختار العبادي و محمد الكتاني، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1964.

قائمة المصادر والمراجع:

- إبن الرامي أبي عبد الله محمد بن إبراهيم اللخمي (ت683هـ/1284م): **الإعلان بأحكام البنيان**، تح: فريد بن سليمان، تق: عبد العزيز الدولاتلي، مركز النشر الجامعي، (د.ب)، 1999.

- إبن بطوطة (ت779هـ/1337م): **رحلة إبن بطوطة (تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار)**، ج.2، تح: الشيخ عبد المنعم العريان، مر: مصطفى القصاص، دار إحياء العلوم، بيروت، 1408هـ/1987م.

- إبن حزم علي: **جمهرة أنساب العرب**، مر: عبد المنعم خليل إبراهيم، ط.4، دار الكتب العلمية، بيروت، 2004.

- إبن حوقل أبي القاسم النصيبي (ت367هـ/977م): **صورة الأرض**، دار مكتبة الحياة، بيروت 1996.

- إبن خلدون عبد الرحمان (ت808هـ/1406م): **العبر ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**، ج.4؛ ج.6، مر: سهيل زكار، دار الفكر، (د.ب)، (د.ت).

- ـــــــــ ـــــــــ: **المقدمة**، تح، علي عبد الواحد، الؤسسة المصرية العامة للتاليف والترجمة والطبع والنشر، (د.ت).

- إبن سعيد المغربي أبي الحسن علي بن موسى(685هـ/1299م): **كتاب الجغرافيا**، تح: إسماعيل العربي منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1970.

- إبن عذارى المراكشي (712هـ/1312م): **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، ج.2، تح ومر: ج.س.كولان وليفي بروفنسال، ط.3، دار الثقافة، بيروت، 1983.

- إبن كثير أبي الفداء إسماعيل بن عمر (774هـ/1373): **تفسير القرآن العظيم**،ج.1؛ ج.4؛ ج.7؛ ج.8، تح: سامي بن محمد بن سلامة، ، ط.2، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، 1430هـ/1999م.

قائمة المصادر والمراجع:

- إبن منظور أبي الفضل جمال الدين محمد مكرم(ت711هـ/1311م)، **لسان العرب**، مج.4؛ 13، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت (د.ت).

- أبي الفداء عماد الدين إسماعيل بن محمد بن عمر (ت732هـ/1331م)، **تقويم البلدان**، دار صادر، بيروت. (د.ت).

- الإدريسي أبي عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحمودي (ق6هـ): **نزهة المشتاق في إختراق الافاق**، مج.1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1422هـ/2002م.

- الباروني سليمان باشا: **الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الاباضية**، مر: محمد علي الصليبي، دار الحكمة، لندن، 2005.

- البكري أبو عبيد (ت487هـ/1094م): **المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب وهو جزء من المسالك والممالك**، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، (د.ت).

- الحسن الوزان بن محمد (894هـ/1489م): **وصف إفريقيا**، ج.2، تر: محمد حجي ومحمد الأخضر، ط.2، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1983.

- الحميري محمد بن عبد المنعم (ت900هـ/1464م)M **الروض المعطار في خبر الأقطار**، تح: إحسان عباس، مكتبة لبنان، 1975.

- الدباغ أبو زيد عبد الرحمان إبن محمد بن عبد الله الأنصاري: **معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان**، ج.1؛ 2، تح: أبو الفضل أبو القاسم بن عيسى ناجي التنوخي، مكتبة الخانجي، مصر، 1968.

- السرخسي أبي سهل: **المبسوط**، ج.15، دار المعرفة، بيروت، 1406هـ.

- الطبري أبي جعفر محمد بن جرير (224-310هـ)، **تاريخ الطبري**، ج.4، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، (د. ت).

- الفيروز أبادي مجد الدين (ت817هـ/1415م): **القاموس المحيط**، تح: أنس محمد الشامي و زكريا جابر أحمد، دار الحديث، القاهرة، 1429هـ/2008م.

قائمة المصادر والمراجع:

- القرماني أحمد بن يوسف (ت1019هـ/1610م): **أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ**، تح: أحمد خطيب وفهمي سعد، مج.3، عالم الكتب، 1412هـ/1992م.

- القزويني زكريا بن محمد بن محمود (ت682هـ/1283م): **آثار البلاد وأخبار العباد**، دار صادر، بيروت، (د.ت).

- القلقشندي أبي العباس أحمد (ت821هـ/1418م)، **صبح الأعشى**، ج.5، المطبعة الأميرية، القاهرة، 1915.

- الماوردي أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب (ت450هـ/1058م): **تسهيل النظر وتعجيل الظفر في أخلاق الملك وسياسة الملك**، تح: رضوان السيد، بيروت، (د.ت).

- ـــــــ ـــــــــــــ: **الأحكام السلطانية**، دار الحديث، القاهرة، (د.ت).

- المروزي القاضي أبي بكر أحمد بن علي بن سعيد (ت275هـ/888م): **الجمعة وفضلها**، تح: سمير بن أمين الزهيري، ج.1، دار عمار، عمّان، 1987.

- المقدسي شمس الدين أبي عبد الله محمد بن محمد بن أحمد بن أبي بكر (ت390هـ/1000م): **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، ط.2، مطبعة بريل، ليدن، 1906.

- الناصري أبو العباس أحمد خالد: **الإستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى**، ج.3، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1954.

- اليعقوبي أحمد بن أبي يعقوب إسحاق (ت284هـ/897م): **البلدان**، مر: محمد أمين ضناوي، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ت).

- عبد الواحد المراكشي محي الدين أبو محمد (ت643هـ/1246م): **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، تح: محمد سعيد العريان، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، 1963.

- القاضي النعمان إبن أبي عبد الله بن محمد بن أحمد (ت363هـ/973م): **إفتتاح الدعوة**، تح: فريد الدشراوي، ط.2، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، 1996.

- قدامة بن جعفر (ت210هـ/825م): **الخراج وصناعة الكتابة**، شر وتح: محمد حسين الزبيدي، دار الرشيد، بغداد،1981.

- مؤلف مجهول (ق.6هـ): **الإستبصار في عجائب الأمصار**، تع: سغد زغلول عبد الحميد، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، 1985.

- ياقوت الحموي شهاب الدين أبي عبد الله: (ت627هـ/1299)، **معجم البلدان**، مج.3؛ 7 تح: محمد أمين الخانجي الكتبي، مطبعة السعادة، مصر، 1323هـ/1906م.

ثانيا: المراجع

أ/ كتب باللغة العربية ومترجمة

- الحبيب الجنحاني: **القيروان عبر عصور إزدهار الحضارة الإسلامية في المغرب العربي**، الدار التونسية للنشر، 1968.

- ـــــــ ـــــــ: **المجتمع العربي الإسلامي/الحياة الإقتصادية والإجتماعية**، مطابع السياسة، الكويت، 1426هـ/2005م.

- الحسن السائح: **الحضارة الإسلامية في المغرب**، ط.2، دار الثقافة، الدار البيضاء، 1406هـ/1986م.

- السيد إدي شير: **الألفاظ الفارسية المعربة**، ط.2، دار العرب، القاهرة، 1998.

- بوزياني الدراجي: **دول الخوارج والعلويين في بلاد المغرب والأندلس**، ط.3، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2007.

- جورج مارسية، **بلاد المغرب وعلاقتها بالمشرق الإسلامي**، تر: مجمود عبد الصمد، مر: مصطفى أبو ضيف احمد، منشأة المعارف، الاسكندرية، 1999.

- حسن الباشا: **الآثار الإسلامية**، دار النهضة العربية، القاهرة، 1990.

- حسن حافظي علوي: **سجلماسة وإقليمها من القرن الثامن الهجري/الرابع عشر ميلادي**، مطبعة فضالة، المغرب، 1418هـ/1997م.

قائمة المصادر والمراجع:

- حسين مؤنس: **معالم تاريخ المغرب والأندلس**، مر: عادل أبو المعاطي ومحمد دياب، دار الرشاد، القاهرة، (د.ت).

- خالد محمد مصطفى عزب: **تخطيط وعمارة المدن الإسلامية**، كتاب الأمة سلسلة دورية، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، 1997.

- خالص الأشعب: **المدينة العربية/ التطور الوظائف البنية والتخطيط، معهد** البحوث والدراسات العربية، بغداد، 1982.

- زكي محمد حسن: **فنون الإسلام**، دار الفكر العربي، (د.ب)، (د.ت).

- سعدون نصر الله عباس: **دولة الأدارسة في المغرب (العصر الذهبي 173هـ-223هـ/788م-835م)**، دار النهضة العربية، بيروت، 1987.

- شارل أندري جوليان: **تاريخ افريقيا الشمالية**، ج.1، تر: محمد مزالي والبشير بن سلامة، ط.4، الدار التونسية للنشر، 1985.

- طه عبيد خضر: **المدينة الإسلامية تاريخها وتخطيطها وعوامل إزدهارها وإنحطاطها**، دار الفكر ناشرون وموزعون، عمان، 2013.

- عبد الأحد السبتي وحليمة فرحات: **المدينة الإسلامية في العصر الوسيط (قضايا ووثائق من تاريخ المغرب الإسلامي)**، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1994.

- عبد الحميد حسين حمودة: **تاريخ المغرب في العصر الإسلامي (منذ الفتح الإسلامي وحتى قيام الدولة الفاطمية)**، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، 2007.

- عبد الحميد سعد زغلول: **تاريخ المغرب العربي (تاريخ دول الأغالبة والرستميون وبني مدرار والأدارسة قيام الفاطميين)**، ج.2، منشأة المعارف للنشر، الإسكندرية، 1993.

- عبد الرحمان حسين العزاوي: **تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط**، ط.2، دار الخليج، (د.ب) 2017.

قائمة المصادر والمراجع:

- عبد العزيز غوردو: **الفتح الإسلامي لبلاد المغرب "جدلية التمدين والسلطة"**، ط.2، دار ناشري للنشر الالكتروني، الكويت، 2011.

- عبد الكريم الفيلالي: **التاريخ السياسي المغرب العربي الكبير**، ج.2، مطبعة شركة ياسر للطباعة، القاهرة، 2006.

- عثمان محمد عبد الستار: **المدينة الإسلامية**، سلسلة عالم المعرفة، ع.128، الناشر المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1988.

- عيسى الحريري: **الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي (حضارتها وعلاقتها الخارجية بالمغرب والأندلس 160-296هـ)**، ط.3، دار القلم، الكويت، 1408هـ/1987م.

- فخري خليل النجار: **تاريخ الحضارة العربية الإسلامية**، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، 1432هـ/2011م.

- لحسن تاوشيخت: **عمران سجلماسة دراسة تاريخية وأثرية**، ج.1؛ 2، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، 1429هـ/2008م.

- ماك كول: **الروايات التاريخية عن تأسيس سجلماسة وغانة**، تع وتح: محمد الحمداوي، دار الثقافة، الدار البيضاء، 1395هـ.

- محمد أبو المحاسن عصفور: **المدن الفينيقية**، دار النهضة العربية للنشر والتوزيع، بيروت، 1981.

- محمد البشير شنيتي: **أضواء على تاريخ الجزائر القديم**، دار الحكمة، الجزائر، 2003.

- محمد العربي عقون: **الإقتصاد والمجتمع في الشمال الإفريقي القديم**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2008.

- محمد الهادي حارش: **التاريخ المغاربي القديم السياسي والحضاري/منذ فجر التاريخ إلى الفتح الإسلامي**، المؤسسة الوطنية للطباعة، الجزائر، (د.ت).

قائمة المصادر والمراجع:

- محمد سعيد رمضان البوطي: **منهج الحضارة الإنسانية في القرآن**، دار الفكر، دمشق، 1981.

- محمد عمارة: **المصطلحات الإقتصادية في الحضارة الإسلامية**، دار الشروق، بيروت، 1413 هـ/1993 م.

- محمد محمد زيتون: **القيروان ودورها في الحضارة الإسلامية**، دار المنار، القاهرة، 1408 هـ/1988م.

- محمود إسماعيل عبد الرزاق: **الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري**، ط.2، دار الثقافة، الدار البيضاء، 1985.

- موسى لقبال: **المغرب الإسلامي**، ط.2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981.

- يوسف أحمد حوالة: **الحياة العلمية في افريقية "المغرب الأدنى" منذ إتمام الفتح وحتى منتصف القرن الخامس الهجري"90-450هـ"**، ج.1، مطابع جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 1421هـ/2000م.

- بوقاعدة البشير: **الصراع العسكري وخراب المدن بالمغرب الأوسط والأدنى بين296هـ-547هـ/909م-1152م دراسة تاريخية**، ميم للنشر، الجزائر، 2015.

ب/ الرسائل الجامعية:

- أبو هريرة عبد الله محمود يعقوب: **مظاهرة الحضارة في سجلماسة في عهد (إمامة بني واسول الصفرية) 140-316 هـ/757-978م**، "رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية"، قسم التاريخ والحضارة الإسلامية، جامعة أم درمان الإسلامية، 1414 هـ/1994م، (غير منشورة).

- جمال مسرحي: **المقاومة النوميدية للإحتلال الروماني في الجنوب الشرقي الجزائري "ثورات الأوراس والتخوم الصحراوية أنموذجا"**، "مذكرة ماجستير في التاريخ القديم"، تخصص

تاريخ وحضارات البحر الأبيض المتوسط، قسم الآثار، جامعة قسنطينة، 2008-2009م، (غير منشورة).

- شنايت العيفة: **دولة بني مدرار بسجلماسة ودور تجارة القوافل في إزدهارها الحضاري بين القرنين الثاني والرابع الهجريين**، "رسالة ماجستير بمعهد التاريخ"، جامعة الجزائر، 1990-1991، (غير منشورة).

- فطيمة مطهري: **مدينة تيهرت الرستمية دراسة تاريخية حضارية(ق2-3هـ)**، "رسالة ماجستير في تاريخ الغرب الإسلامي"، جامعة أبي بكر بلقايد، قسم التاريخ والآثار، تلمسان، 2009-2010م، (غير منشورة).

- محمد الصالح العود: **التحولات الحضارية في شمال إفريقيا في الفترة الوندالية 429-534م**، "رسالة ماجستير في التاريخ القديم"، قسم الآثار، جامعة قسنطينة، 2009-2010م، (غير منشورة).

- محمد عبد الله إسماعيل الشيخ عيد: **المعايير التخطيطية للمدينة بين الأصالة والمعاصرة**، "رسالة ماجستير في الهندسة المعمارية"، الجامعة الإسلامية، غزة، 1436هـ/2015م، (غير منشورة).

- مزدور سمية: **المجاعات والأوبئة في المغرب الأوسط (588-927هـ/1192-1520م)**، "رسالة ماجستير في التاريخ الوسيط"، قسم التاريخ والآثار، جامعة منتوري، قسنطينة، 1429-1430هـ/2008-2009م، (غير منشورة).

- وفاء يعقوب جبريل برناوي: **دولة بني مدرار الصفرية بالمغرب الأقصى الإسلامي دراسة تاريخية حضارية 140-347 هـ/787-908 م**، "رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي"، قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 1424هـ/2003م، (غير منشورة).

- يوسف عيبش: **الأوضاع الإجتماعية والإقتصادية لبلاد المغرب أثناء الإحتلال البيزنطي،** "أطروحة دكتوراه في تاريخ وآثار المغرب القديم"، جامعة قسنطينة، الجزائر، 2006-2007م، (غير منشورة).

ج/ المقالات والبحوث العلمية:

- باللغة العربية

- أسامة إسماعيل عثمان: **التخطيط الحضري في بعض مصنفات العلماء المسلمين دراسة في الفكر الجغرافي،** في مجلة البحوث الجغرافية، ع.10، جامعة الكوفة، 2008، ص ص 273-289.

- الحبيب الجنحاني: **الحياة الإقتصادية والإجتماعية في سجلماسة عاصمة بني مدرار**، في مجلة المؤرخ العربي، ع.5، الأمانة العامة لإتحاد المؤرخين العرب، ص ص 141-158، العراق، (د.ت).

- حمد محمد الجهيمي: **الحياة الإقتصادية في سجلماسة من نشأتها إلى إكتمال بنائها (140-297هـ/758-909م)**، في مجلة العلوم والدراسات الإنسانية، ع.3، ص ص 1-20.

- خليف مصطفى غرايبة: **منهجية الفكر الإسلامي في تخطيط المدينة العربية الإسلامية(إبن أبي الربيع أنموذجا)**، في المجلة الأردنية للعلوم الإجتماعية، مج.8، ع.1، 2015، ص ص 183-199.

- عز الدين بويحياوي: **نشأة المدينة الإسلامية من خلال مدن المغرب الأوسط**، في مجلة آفاق علم الإجتماع، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية، جامعة البليدة 2، مج.5، ع.1، الجزائر، 2007م، ص ص 62-82.

قائمة المصادر والمراجع:

- فواز عائد جاسم كركجة: **جوانب من بنية المدينة العربية الإسلامية ودواعي توثيقها**، في مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية، مج.11، ع.1، 2011/04/24م، ص ص 308-312.

- لحسن تاوشيخت: **سجلماسة من المدينة إلى القصور**، في مجلة عصور الجديدة، ع. 14-15، ص ص 140-161، جامعة وهران، الجزائر، 1435هـ/2014م.

- ـــــــ ـــــــ: **مدينة سجلماسة وشح المعطيات التاريخية والأثرية**، في دورية كان التاريخية،ع.12، جوان 2011، دار ناشري، الكويت.

- محمد الكحلوت: **قراءة تقييمية للمدينة الإسلامية**، في The 2en International Engineering Conference on Construction and Development، الموضوع الثاني، الجامعة الإسلامية، غزة، (د.ت)، ص ص 38-54.

- محمد علوات وفوزي بودقة: **المدينة الحاضرة آراء ومفاهيم**، في حوليات التاريخ والجغرافيا، ع.4، 2011م.

- مصطفى بن حموش: **المعايير التخطيطية في المدن الإسلامية العتيقة**، في مجلة جامعة الملك سعود، مج.15، العمارة والتخطيط، ص ص139-165، الرياض، 1423هـ/2003م

- مصطفى كامل الفرا وشيماء جهاد الهسي: **تخطيط المدن بين المضمون الإسلامي والمضمون الحديث (دراسة مقارنة)**، في IUG Journal of Natural and Engineering Studies، مج.21، ع.1، الجامعة الإسلامية، ص ص123-159، غزة، 2013.

- ميادة عبد الملك محمد صبري: **تخطيط وعمارة المدينة الإسلامية مدينة دمشق القديمة**، في مجلة كلية التربية، ع.11، واسط، (د.ت).

- باللغة الأجنبية:

- Meunié jacques : sur Larchitectur du Tafilalet et de sijilmassa (Maroc saha-rien), in : comptes redus des séances de lacadémie des inscribtion et Belles-Lattres, 106e année, N.2, 1962, p p 132-139.

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

شكر وعرفان		
إهداء		
المقدمة		
	مدخل: وضعية العمران ببلاد المغرب قبيل الفتح الإسلامي	**15-09**
الفصل الأول: أساسيات العمارة الإسلامية		**42-16**
أولا	**مفاهيم ومصطلحات**	**18**
1	مفهوم العمران والعمارة	**20-18**
2	مفهوم المدينة	**23-21**
3	مفهوم الحاضرة	**24**
ثانيا	**عوامل نشأة المراكز العمرانية (المدن الإسلامية)**	**25**
1	العامل الطبيعي	**27-25**
2	العامل السياسي والعسكري	**30-27**
3	العامل الإقتصادي والإجتماعي	**36-31**
ثالثا	**تخطيط المراكز العمرانية (المدينة والحاضرة)**	**36**
1	شروط إختيار الموقع	**37**
2	شروط إختيار الموضع	**40-37**
3	تخطيط الشوارع	**42-40**
الفصل الثاني: عمارة المدن في بلاد المغرب الإسلامي		**73-43**
أولا	**الأحكام الفقهية في تنظيم المدن**	**46-45**
1	مبدأ الأخذ بالعرف ومنع الضرر	**48-46**
2	دور المحتسب في العمران	**49-48**
3	قرابة النسب	**51-49**

فهرس المحتويات

ثانيا	**المدن التي قامت بالمغرب الأدنى والأوسط**	**51**
1	مدينة القيروان بالمغرب الأدنى	**58-51**
2	مدينة تيهرت بالمغرب الأوسط	**64-58**
ثالثا	**أسباب خراب المدن بالمغرب الإسلامي**	**66-64**
1	الأسباب السياسية	**67-66**
2	الأسباب الدينية	**70-67**
3	الأسباب الطبيعية والبشرية	**72-70**
الفصل الثالث: مدينة سجلماسة أنموذجا		**107-75**
أولا	**نشأة سجلماسة**	**76**
1	التسمية	**77-76**
2	الموقع	**78-77**
3	المناخ	**79-78**
ثانيا	**تأسيس مدينة سجلماسة**	**81-79**
1	أئمة بني مدرار	**83-81**
2	علاقات بني مدرار	**87-83**
ثالثا	**الأوضاع الإقتصادية**	**90**
1	الزراعة	**95-90**
2	الصناعة	**97-95**
3	التجارة	**99-97**
رابعا	**الأوضاع الاجتماعية والعمرانية**	**99**
1	الأوضاع الإجتماعية	**101-99**
2	المنشآت العمرانية	**106-101**

	خاتمة	110-109
	الملاحق	121-112
	قائمة المصادر والمراجع	134-123
	فهرس المحتويات	138-136
	ملخص الدراسة	

ملخص الدراسة بالعربية + الإنجليزية

الملخص:

يُعنى موضوع هذه الدراسة بتسليط الضوء على المراكز العمرانية في بلاد المغرب الإسلامي ومدى تجسيد معالم العمارة الإسلامية بها، ومدينة سجلماسة أتخذت أنموذجا للدراسة لتطبيق عليها أسس عمارة المدن الإسلامية ومعايير التخطيط، كونها أول مدينة يتم تشييدها في المغرب الأقصى وعاصمة أول دولة مستقلة عن الخلافة العباسية في المشرق، أعتبرت المراكز العمرانية إحدى عناصر العمارة الإسلامية حيث مثلت إرثا تاريخيا وحضاريا للحضارة الإسلامية، فتعددت المفاهيم والمصطلحات الدالة عليها وتطورت وإزدهرت أنماط العمارة بها، وأخذت المدن بالمغرب الإسلامي في العصر الوسيط وظائف متعددة كما كان لها الدور الريادي في التأثيرات الحضارية والإنتقال بأهل المغرب من حياة البداوة الى التمدن.

The Summary :

The terme of thé study ils to shed light on thé urbain centres un the Islamic Maghreb ans what is the embodiment of the architecture of the islamic architecture ans the city of the "Sijilmassa "bas takena model to study the fondations of the building standard Boeing the built in Maghreb ans the cabital of the firset indipendent state forme the Abbasin dispute in the Orient, the urbain centres were consideres zon of the elementes of the Islamic architectur. Where they represente the hisstorical ans civilisation, the multi- term terminology and developed ans florished the patterns of architecture ans the cities in the Islamic Maghreb in the Middle Ages, tooke many fonctions ans also hav a leading rol in the people of Maghreb from nomadic life to ne extended.